

المجلد الحادي والعشرون

رمضان سنة ١٣٦٩

٩٩

مجلة الأزهر

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

تصديقاً لشهادتنا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مجلة الأزهر

المجلد الحادى والعشرون

مدير المجلة

ورئيس تحريرها



مركز تحقيق وتطوير علوم

٤٠	المصر والسودان	الاشتراك السنوى
٥٠	لخارج القطر المصرى	

نمن المبدد ٠ غ ملها

ادارة المبدد : بديوان الادارة العامة للأزهر والجامعة الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر

١٩٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

قلنا في المقال السابق : إن الأمم في انتقالها الاجتماعية ، خلال الأدوار المتتابعة التي تتوالى عليها ، إنما تتأثر بعاملين قويين : عاداتها الموروثة ، ودياناتها ؛ وإن كثيراً ما جرهما التدافع بين هذين العاملين إلى شرورب التناحر بين أحادها . وكثيراً ما قضى عليها هذا التناحر بالانحلال والتلاشي . إلا الأمة الإسلامية ، فقد كان أمرها عجيباً ؛ بل كان آية خالدة لم يرو لنا تاريخ البشرية ما يشبهها ولا ما يقرب منها : فأقرب الأديان إلينا وأشهرها اليهودية والنصرانية ، فالأولى كانت خاصة ببنى إسرائيل ، دعا إليها موسى صلى الله عليه وسلم ، فاختلف عليه قومه حتى هوقبوا بالنيه ، ولم تقيم لهم دولة إلا بعد أدوار شق . وأما النصرانية فكانت أبداً خطي من سابقتها حتى أنه لم تتأسس باسمها دولة إلا في سنة (٣١٣) على عهد الإمبراطور (كونستانتين) الروماني . أما الإسلام فلم يطل عهد الدهوة إليه أكثر من عشر سنين في مكة . فلما هاجر منها محمد صلى الله عليه وسلم إلى يثرب ، كان ذلك بداية للدولة الإسلامية ، وهي الديانة العالمية التي أرسل خاتم المرسلين لإعلانها للناس كافة ؛ فأرسل رسوله لعياهل الأمم التي كان يمكن الاتصال بها في ذلك العهد ، وهي الدولة الرومانية ، والدولة الفارسية ، والدولة الحبشية ، وغيرها ، كتباً يحيلهم علماً بقيامها ، ويدعوهم للدخول فيها ، وينذرهم بالمشكلات إن هم تنكبوا عنها . حدث جليل لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر ، ولم يقيم به محمد صلى الله عليه وسلم إلا بوحي من ربه ، وكيف كان يقدم على ذلك من تلقاء نفسه ، وهو على رأس قلة من الرجال لم يأمثروا على وجودهم بعد ، وكانوا إذا قاموا للصلاة تقدمت طائفة وحرسهم أخرى ، خشية أن يكبسهم أعداؤهم وهم مجردون من أسلحتهم فلا تقوم لهم بعدها قائمة ؟ ولكن الحق جليل وعز وعدمهم - وهم في تلك القلة يخشون أن يتخطفهم الناس - بأنه سيمنحهم خلافة في الأرض ، وأنه سيؤيدهم وينصرهم على أعدائهم ماداموا موفين بعهدهم الذي عاهدوه

عليه ، وهو قوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، ولا يبديلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

هذه آية اجتماعية لم يتم لها نظير في العالم كله ، وهي أن تتألف جماعة من طوائف شتى ، فتزداد هداً بسرعة لم تعد في أي دور من أدوار البشرية ، ثم تنساح في الأرض بعد نحو خمسة عشر سنة من تألفها ، فتنتشر فيه ديناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتؤسس ملكاً قوى الدائم ، ركين الأركان ، لا تغرب عنه الشمس ، يبلغ أهله في مائة وخمسين سنة من العلم والصنائع والمدنية ما يفوقون به الذين فيها أنفسهم ، ويستمررون حاملين لواها قروناً متواليمة ينشرونها حيث حلت أقدامهم من بقاع الأرض .

نعم هذه كبرى الآيات الإلهية في تاريخ الإنسانية ، يرجع الفضل فيها إلى تعاليم الإسلام وإلى الروح التي يبثها في القلوب ، والأسلوب الذي يسيطر به على العقول والميول . فالأمة الإسلامية التي نالت خلافة الله في الأرض ، وتولت زعامة العالم نحو ألف سنة ، وإن يكن أصحابها من القصور ما يصيب الجماعات البشرية ، تحت تأثير عوامل شتى ، إلا أنها لا تزال تذكر ما ضيها الماجد ، ونحن إلى استرجاعه ؛ ولا نشك في أنها ستستعيده كاملاً غير منقوص متى أتم مصلحوها مهمتهم من استخلاص دينها عما شابها من البدع ، وما ألحق به مما ليس منه في شيء .

نرجع بعد هذا الاستطراد الذي كان لابد منه ، إلى تجلية ما كنا بصده من بيان خصائص الإسلام في بناء الأمم ، وفي كفايته لتوفيقه بحاجاتها من عوامل النهوض ، وتداركه لما يساور هذا النهوض من فواعل التنشيط ، وعلاجه لما يمتور تدرجها فيه من دواعي الانحراف ، دون أن تحتاج الأمة إلى ما جرت به سنن الاجتماع من الخلاف والتناحر الحزبي الذي يجر إليه ، ويدفع بمجموعها إلى التفتت الموجب لتفهمها أو لتلكؤها في أداء رسالتها آماداً طويلة ، هذه خاصة في الديانة الإسلامية ميزها الحق بها دون الأمم كافة .

ذلك لأن الديانة الإسلامية أوحيت بحالها من جميع بواعث الشقاق بين العقل والعقيدة ، وبين جميع أطوار الترقى العلمي وأصولها الأولية ؛ فن آية جهة يندس

الخلاف لدى ذريها بين المنقول والممقول ، أو ينطرق التناقض في نظرهم بين أصولها ومقتضيات الظروف ؟ هذه ناحية تحتاج لتفصيل فإليك :

قرر الإسلام أن الدين فطرة فطر الله الناس عليها ، وأن أساسه الاعتماد بخالق الكون ، وأنه واحد لا شريك له ، وأنه تعالى عن الأبصار فلا تراه عين ، وهن العقول أيضاً ، فلا يدرك كنهه عقل ، فكلمها خطر ببالك ، فهو بخلاف ذلك . وأنه متصف بجميع صفات الكمال ، فهما بالغ المتكلمون ، وأطوب المؤمنين ، فأنه لا يحيط بكلمه وصف ، ولا يبلغ إلى مدى نعمته بيان .

فهذه العقيدة لا تقبل أى جدل ، ولا تختمل أى خلاف ، ولا تتسع لأية منازعة ، وبها أمن أهله كل ما بليت به الجماعات ، من شرور الظنون والأوهام ، ومن الإغراق في التلاحي والخصام ، فإذا كان كل ما خطر ببالك فأنه بخلاف ذلك ، فمن العبث إضاعة الوقت في التحديدات والتقييدات ، وفي كل ما يجر إليه محاولة التكم في هذا الموضوع من المباحكات .

بهذا الطراز من العقيدة سد الإسلام باب الخلاف سدا محكما لا يجرؤ على محاولة فتحه إلا متمسك أو متزندق ؛ وبعد هذا الباب سلمت جماعة المسلمين من شر مستطير ، هو الانقسام في أصل العقيدة ، وتفرق كلمتها تبعاً لها ، ووقوع الاضطرابات المهددة لكيانها .

نعم لم يسلم المجتمع الإسلامى من متطقلين ومتزندقين ، فحارل بعضهم فتح هذا الباب على مصراعيه ، ولكنهم كانت محاولات فاشلة ، لمناقضتها لنص العقيدة مناقضة صريحة ، فلم تصل واحدة منها إلى مستوى تستطيع معه أن تدفع بجماعة المسلمين إلى الفرقة ، فاعتبرت كلها خوارج على الدين ، ثم آل أمرها إلى التلاشي والزوال ، وبقيت العقيدة الإسلامية إلى يومنا هذا نقية قوية ، وجاء العلم فأيدها ، فأصبحت الوحيدة التي لا يحيد عنها ، وتابع المسلمون حركتهم الاجتماعية والمدنية لم تحل بينهم وبين بلوغ غاياتهم البعيدة أية عقبة .

يأتى بعد العقيدة في الله ، العقيدة في الرسل وفي الأديان ، وهي أيضاً كانت مثاراً لمنازعات بين الجماعات لا تقف عند حد ، والإسلام في هذه الناحية يقرر بأن النوع البشرى من يوم وجد كان في حاجة إلى رسل يهدونه الطريق القويم ، ويلقنونه مابه نجاحه في هذه الحياة ، ونجاته في الدار الآخرة ؛ وأمر أتباعه بالإيمان بهم أجمعين ، دون أن يفرقوا بين أحد منهم ، ودون أن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض .

فإن وُجد في مجتمعهم طوائف من أديان سابقة لا تؤمن بالإسلام ولا بختام المرسلين ، امر المسلمون أن لا يتعرضوا لهم بسوء ، وأن لا يفرقوا في المعاملات بينهم وبين المسلمين ، وأن يدعوا أحراراً في عقد نكحهم وعباداتهم ويستمعهم وكنائسهم ، وأن يحرمهم حمايتهم لأنفسهم ، وأن يذودوا عنهم ذياتهم عن إخوانهم في الدين .

هذا الوضع الحكيم يحسم من أسباب المازعات والخلافات مالا يحصيه عد بين أبناء المجتمع الواحد ، فما دام المسلمون مأمورين أن يؤمنوا بجميع الرسل وأن لا يفرقوا بينهم ، وأن لا يتعرضوا لعقائد من تخلف من أهل الملل عن الدخول في دينهم ، وأن لا يفرقوا في المعاملات بينهم وبين أهل ملتهم ، فأى فتنة يُعقل أن تنشأ في مجتمع هذا شأن تحفظاته في هذه الناحية الحساسة ؟ وليس في القراء من ليس يدري أن هذه الأمور كانت ولا تزال مشارق قلق اجتماعية في جميع الأمم ، حتى في الجماعات الأوروبية ، فإن في تاريخها حوادث من الاضطهاد أدت إلى مذابح بين البروتستانت والكاثوليك ، وبين هؤلاء جميعاً وبين اليهود كانت مثالا للوحشية البالغة ، والجاهلية المنطرفة ، ولا ينسى أحد ما حدث في فرنسا من قتل نحو خمسة وعشرين ألفاً من البروتستانت في ليلة واحدة ، ومن هجرة خمسة آلاف منهم من فرنسا سنة (١٦٨٥) هربوا من الاضطهاد ، حارمين وطنهم من صنائعهم ومعارفهم ، وحاملين إلى البلاد التي أووا إليها ، فكان في ذلك خسارة هائلة لفرنسا لا تقدر .

وإذا كان هذا في فرنسا وكانت في مقدمة الأمم ثقافة وذكاء ، فإذا أنت ظان فيما حدث في سواها من الأمم الأخرى ؟ وليس في قرائنا من يجمل ما كان يحدث لليهود قبل الحرب العالمية الأولى من العنف والاضطهاد والتشريد في جميع الممالك الأوروبية حتى اضطروا لإنشاء وطن قومي لهم ، وضفت جميع الأمم عليهم بقطعة من الأرض ولو في مجاهل إفريقيا ، وأخيراً تفضلوا عليهم بها ولكن على حساب المسلمين في فلسطين .

هذا من ناحية سمو التعاليم الإسلامية ، وقطعها لذرائع الاضطرابات الطائفية في جماعاتها من ناحية الخلافات الدينية . بقي علينا دراسة هذا الموضوع من الناحية الاجتماعية لتجلية عناصر المدنية فيها ؟

محمد فريد وهبى

من ذخائر السنة :

في أنهار الجنة

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيحان ، وجيحان ، والنيل ، والفرات ، من أنهار الجنة » .

أورد القدامى من أصحاب الروايات والأخبار ، آثاراً كثيرة في مؤلفاتهم ، تدلّ بحسب ظاهرها على أن نهر النيل وبعض الأنهار الأخرى من الجنة ، وقد أكثر الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » عند الكلام على النيل ومزايده وخصوصياته من ذكر هذه الآثار ، وأتى فيها بالمعجب العجيب .

وليس يعني في الواقع من كل هذه الآثار ، إلا ما جاءت به المصادر الصحيحة ، وأخرجته المراجع المعتمدة ، فهذه في الحقيقة ، هي الجديرة بالنظر والتفكير والتخليفة بالعناية والتقدير ، أما ما عداها مما ورد في مدونات أخرى ، فالحطّ بها فيها سهل ، والأمر في قبولها أو ردها لا يحتاج إلى جهد أو كبير عناء .

اتفق البخاري ومسلم في أحاديث الإسماء والمعراج ، على أن النبي صلى الله عليه وسلم عند ما بلغ مدبرة المنهى رأى أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقال : يا جبريل ما هذه الأنهار ؟ ، فقال : أما الباطنان ، فهبران في الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

وانفرد مسلم عن البخارى بإخراج الحديث الذى أثبتناه فى صدر هذا الكلام ، وانظروا : سبحان ، وجيخان ، والنيل ، والفراة من أنهار الجنة . .
 وإزاء هذين الاثرين القويين الواردين فى مصدرين عظيمين ، اتفق علماء المسلمين فى المشرق والمغرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصحّ منهما ، قد يقف المتنّف العادىّ مترددا حائرا متساثلا عن قيمة ما ورد فى هذين الاثرين ، وعن مدناهما وسمماهما ، وعن مدى اتصالهما بالحقيقة ، ومبلغ اتفاقهما مع ما تحكم به المشاهدة : من مواقع هذه الانهار ومنابعها وبحارها ومصباتها ، بل وقد يقف منهما بعض أصحاب العقليات الحديثة موقف الاستبعاد والإنكار .

ولو تمهل أولئك المتساثلون ، وترثت هؤلاء المنكرون ، وكلفوا أنفسهم هناك الرجوع إلى آراء العلماء ، وجشموها مؤونة البحث عما قالوه فى تفسير ذينك الاثرين ، وشرّح معناه ، وبيان المراد منهما ؛ لظهر لهم وجه الصواب ، وانبج أمامهم نور الحقيقة ، ولوفروا على أنفسهم ما يجلبه التساؤل والإنكار من نتائج ومؤاخذات .

قال النووى فى شرح مسلم : إن مياه هذه الانهار أصلها من الجنة ، وإنها تخرج من أصل سدرة المنتهى ، ثم تسير حيث أراد الله ، ثم تنزل إلى الارض ، فتستقر فيها ، ثم تخرج منها ، وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع ، وهو ظاهر الحديث ، فوجب المصير إليه .

وذكر القاضى هياض فى كون هذه الانهار من ماء الجنة تأويلين : أحدهما : أن الإيمان عمّ بلادها ، وأن الاجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة .

والثانى : أن لها مادة من الجنة . ولكن يجتدل إلينا أن أصحاب العقليات الحديثة ، سوف لا يعجبهم هذا الكلام ، وسوف لا يرضيهم رأى النووى ، ولا يروقهم تأويل القاضى ، وأنهم سيهتزون أكتافهم ، ويثنون أعطافهم ، ثم يمضون سراعا سادرين عابئين .

وإذا كان الامر لديهم كذلك ، فليسمعوا رأيا آخر فى تفسير الحديث ، علة يشق غلتهم ، ويروى ظمأهم ، ويذهب بما فى نفوسهم من ريب وشكوك ،

في أنهار الجنة

٧٧٥

وهذا الرأي هو ما حكاه القرطبي عندما تناول هذا الموضوع بالشرح والبيان ، قال :

ولمّا أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيها لها بأنهار الجنة ، لمّا فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة .

ونظن أن فيما حكاه القرطبي ما تهضمه العقلية الحديثة وتستسيغه ، وما يكفي لإرضاء غلواتها ، وإقناع تفكيرها الخاص بها .

* * *

أشير في أثر البخاري ومسلم إلى وجود نهرين باطنين في الجنة : وقد وردت الآثار أيضاً بأن في الجنة عيناً تجري يقال لها : السلسيل ، وأنه ينشق منها نهران ، أحدهما : الكوثر ، والآخر يقال له : نهر الرحمة ، فيمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران ، وقال مقاتل : النهران الباطنان هما السلسيل والكوثر .

فأما النيل ، فهو نهر مصر ، وقد ذكروا له مزايا كثيرة ، منها أن مائه من أصح المياه وأخفها وأعذبها وأحلاها ، وأرواها وأمرأها ، وأعما نفعها ، وأن أرضه من أخصب الاراضي ، وأغناها زروعاً وثماراً ، وأكثرها غلة وإنتاجاً وأعظمها خراجاً ، ومنها أنه يأتي أرض مصر في أوان اشتداد القيظ والحر ، ويبس الهواء ، وجفاف الأرض ، فيبل التربة ، ويرطب الهواء ، ويلطف الجو ، وينعش النفس ، ويعتدل الفصل ، وتزدهر الحياة ، ومنها أنه يأتي من الجنوب إلى الشمال ، فيكون فعل الشمس فيه دائماً ، وأثرها في تنقيته وإصلاحه متصلاً ملازماً .

وأما الفرات ، فهو نهر بغداد ، وقد خطأ النووي من قال : إنه بالعراق ، وقال : هو فاصل بين الشام والجزيرة ، وكذلك خطأ من يقولونه : الفراء ، بالتاء المربوطة ، وقال : إنه الفرات بالتاء المفتوحة في الخط في حالي الوصل والوقف ، والفرات في اللغة : المساء العذب جداً يقال للواحد والجمع ، ومنه قوله تعالى :

« وأسقيناكم ماء فراتا ، ، ولعل في تسميته النهر المخصوص بذلك الاسم إشارة إلى ما يدل عليه هذا المعنى اللغوى .

وأما سيحان وجيحان ، فهن ان عظيمان جدا ، وهما يقمان فى بلاد الارض ، وسيحان نهر أذنة ، وجيحان نهر المصيصة ، وهو أكبرهما ، قال صاحب النهاية فى غرب الحديث : سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرطوس ، وهما غير سيحون وجيحون ، لأنهم اتفقوا كلهم على أن جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ ، واتفقوا على أنه غير جيحان . وكذلك سيحون غير سيحان ، ولم يذكر هذان النهران فى حديث الإسراء ، لكونهما ليسا أصيلا برأسهما ، والاحتمال أن يكونا متفرعين عن غيرهما .

وبعد ، فذلك هى آراء العلماء فى بيان معنى كون هذه الانهار من الجنة ، فمن استطاعت عقليته أن تهضم مثل رأى النووى ، أو تأويل القاضى ، فليأخذ بهما ، أو بأيهما شاء ، ومن لم تستطع عقليته أن تقبل شيئا من ذلك ، فليأخذ بما حكاه القرطبى ، فإن التشبيه لا يحتج فيه ، ولا مضادة فيه بين العقل والمنطق والرأى السليم ، والمقاييس العلمية الصحيحة ، ولم يمنع أحد مطلقا ، لا من أصحاب العقليات القديمة ، ولا من أصحاب العقليات الحديثة ، بل لقد بلغ من أمره أنه كلما كان أقرب إلى الغرابة ، وأدنى إلى المغالاة ، وأشبه بالحال ، كان بذلك أدخل فى باب الحسن والجمال والبلاغة ، ولأنه لا يشك شاك فى أن مياه هذه الانهار عذبة حلوة ، سائغة للشاربين ، مستلذة للمتذوقين ، راوية للظامئين ، وأنها حسنة فى المنظر ، جميلة فى المرأى ، ممتازة فى الموقع ، بديعة فى انسكابها وانعطافها ، بهيجة فى وداعتها وهديرها ، وأنها تعود على البلاد التى تجرى فيها بالخصب والنعاء ، واليسر والرخاء ، والخير والبركة ، وهذه المعانى كلها مشتركة بينها وبين أنهار الجنة ، فيكون حمل الحديث على التشبيه أسلم وأحكم ، وأبعد به عن الاندفاع فى تيار الجدال ، وأنأى عن مجال التجريح والتضعيف ، وأرضى للعقليات التى تميل الى الأخذ بالواقع المدروس .

مِنْ فِقْهِ عُمَرَ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني
المفتش بالآزم

عما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه منع المؤلفة قلوبهم من نصيبهم المفروض لهم في الزكاة بقوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم » ، وعمر بن الخطاب كان ذا بصيرة بالفقرة مع ورع وتقوى في الدين ، فكيف سوغ لنفسه أن يخالف آية صريحة كهذه الآية ، وكيف وقّعت حكمها بقوله : « ذلك حين كان الإسلام ضعيفاً ، أما وقد أعزه الله فالسيف بيننا وبين من خرج عليه » .

وقد تمسك بعض الناس بصنيع عمر هذا ، وزعموا أن المصلحة حاكمة على ما سواها من الأدلة ، ولو كان نصاً في كتاب أو سنة ، وأيدوا هذا أيضاً بتصرف آخر لعمر في مسألة الطلاق الثلاث ؛ وذلك أن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وفي أول خلافة عمر ، كان يقع طليقة واحدة ، ثم رأى عمر أن يلزم الناس بوقوعه ثلاثاً لمصلحة رجوعها ، هي أن الناس تتابعوا على ذلك وأكثروا من الحلف به ، واستعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فكانت المصلحة في أن يمضيه عليهم ، وقد وافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعدهم ، وأصبح ذلك هو الحكم المفتى به ، المعول عليه في المذاهب الأربعة المعروفة .

قالوا : إن الشارع قد جعل قول الرجل لامرأته : أنت طالق ثلاثاً سبباً في وقوع طليقة واحدة ، فهذا حكم وضعي ليس لأحد إلا للشارع^(١) ، فكيف

(١) الحكم الوضعي هو جعل الشيء سبباً أو شرطاً . . الخ والذي يحكم بهذا الجعل هو الشارع ، وذلك كجعل ذلك الشمس سبباً في وجوب الظل مثلاً ، ومنه ما معنا هنا من جعله لفظ الطلاق بالثلاث سبباً في وقوع واحدة ، فليس لأحد أن يجعله سبباً في أكثر .

ساغ لعمر أن يجعل اللفظ سبياً لوقوع ثلاث طلفات وهو ، يعلم أن سببية الشيء لشيء إنما تكون بحكم الشارع ، فهو الذى يحمل صيغة ما سبياً لثبوت حكم ما . وإذن فلا بد أن يكون عمر قد سلك في الأمر مسلكاً آخر ، هو تغليب مصلحة الناس على العمل بهذا الحكم الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبما ذكرناه في ذلك أيضاً ما رواه أبو يعلى الموصلى في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ينادى : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فوجده عمر فردده وقال : : إذن يتكلموا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن فعل ذلك في حديث صحيح ، وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة .

وقد خرج بعض العلماء صفيح عمر في هذه المسائل الثلاث ، ونحوها بتخريج الخصة فيما يأتي :

١ — قالوا في مسألة المؤلفات قلوبهم : إن عمر رضى الله عنه لم يبطل النص ، ولم يحكم عليه بالمصلحة ، وحاشاه أن يفعل ذلك ، فإن النص خالد ، والمصلحة مارآه الشارع ، وإنما فهم عمر أن الله سبحانه وتعالى جعل نصيباً للمؤلفات قلوبهم ؛ حيث كان الإسلام في حاجة إلى تأليفهم واصطناعهم ، لأنهم كانوا أهل جاه ورياسة في أقوامهم ، فلو أسلموا أسلم من وراءهم من الاتباع فعز بهم الإسلام وكثر سواده ، أما وقد أصبح الإسلام عزيزاً ، وأصبح أهله كثرة تخشى وترجى ، فلم يعد به حاجة إلى تأليف أحد ، فهو يرى بهذا أن النص على إعطائهم مقيد بهذه المصلحة ، دأثر معها وجوداً وعدماً ، فإذا وجدت مصلحة في التأليف بالمال في أى عصر من العصور ، جاز للإمام على هذا أن يدفع نصيباً لمن يرى تأليف قلوبهم ، والانتفاع بجامهم وما يفيدون الإسلام والمسلمين ، وإذا لم يظهر في ذلك مصلحة فلا يجب دفع هذا النصيب ، وكأن النص مصرح فيه بهذا الفيد ، وأرى أن عمر قد لمح هذا المعنى من العبارة عنهم بلفظ : المؤلفات قلوبهم ، فهو يفيد أن هناك تأليفاً لقوم ، والتأليف لا يكون إلا حيث يرى أن المصلحة قاضية به ، وإلا كان صرفاً للمال في وجه آخر قد يسمى إحساناً مثلاً ، أو إعطاء أو نحو ذلك ، فحيث سماه : تأليفاً ، فقد دل بذلك على أنه يريد معنى تقريبهم للإسلام ليفيدوه ، فالعبرة إذن بالفائدة .

ومن هذا يتبين أن عمر رضى الله عنه لم ينسخ النص أو يزعم أنه نسخ ،
ولم يكن النص باق ؛ لأنه لم يكن في أى وقت نصاً مطلقاً ، وإنما هو من أول أمره
مقيد وقد ظل كما هو وسيظل إلى يوم القيامة .

٢ — وقالوا في مسألة الطلاق الثلاث : إن عمر رضى الله عنه لم يشرع
بسببية لفظ غير ما شرعه الشارع ، وإنما نظر عمر نظرة أخرى ؛ ذلك أنه إذا
طلق الإنسان امرأته طلاقاً ثلاثاً في لفظ واحد ، ووقع بذلك طليقة واحدة كما كان
العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبي بكر وأوائل عهد عمر ،
فمعنى ذلك أن للزوج حقاً في مراجعة زوجته بعد هذا اللفظ ، والمراجعة أمر
مباح كسائر ما يباح للناس من طعام أو شراب أو تزوج أو نحو ذلك ، غير
أن عمر رأى استخفاف الناس بمخالفة السنة قد استشرى داؤه ، فرأى أن يحرم
الناس من هذا الحق الذى كان لهم ، كما لو رأى حاكم لمصلحة ما أن يمنع الناس من
إيقاد الأضواء بعد ساعة معينة خوفاً لغارة الأهداء مثلاً ، كما كان يحدث في زمن
الحرب ، فحرمان أصحاب الحق المباح من استعمال حقهم لمصلحة قاضية به لا يعد
حكماً بسببية صيغة في شيء لم يجعلها الشارع سبباً له .
وبهذا يتبين أن عمر لم يشرع حكماً وضعياً ، وإنما قيد استعمال المطلقين لحقهم
في الرجعة .

٣ — أما المسألة الثالثة فظاهر أن عمر لم يرد حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكيف وهو خبر من الرسول الكريم عن الله رب العالمين ، ولكنه
لم يجد في الناس استعداداً حينئذ لتلقى هذا الخبر ، وخاف عليهم أن يتكلموا ، وأن
يضعف جهادهم ونصرهم وتضعيفهم في سبيل الله .

وقد يقول قائل : أليس قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتدأ في
الناس بهذا ؟ فما بال عمر يرد هذا الأمر فأقول : لم يكن رد عمر رداً للمعنى
الذى قرره الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه رأى أنه في مناسبة ذلك لمصلحة
الناس ، أو عدم مناسبتها في خصوص هذا الوقت ، وكما لعمر من مراجعات مع
الرسول الكريم كان يتلقاها بالقبول ، وشتان بين النظر في تأجيل الإخبار
بحكم أو التخصيص به ، وبين نقضه ورد منه .

سيبويه

لفضيلة الأستاذ الجليل الدكتور محمد محمد بن الفحام

الأستاذ بكلية اللغة العربية

كنيته ، اسمه ، نسبه :

أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحرث بن كعب . وقيل مولى آل الربيع بن زياد الحارثي من أصل فارسي ، وقد جاء اسمه واسم أبيه واسم جده في شعر اللخشمي :

ألا صلى الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبر
فإن كتابه لم يغن عنه بنو قلم ولا أصحاب منبر
وسيبيويه لقب له ، تغلب على اسمه وكنيته فاشتهر به ، وهو لفظ فارسي مركب ، ترجمته العربية «رائحة التفاح» .

وقد اختلف في توجيه تلقيبه بهذا الاسم ، فقيل : لأن أمه كانت ترقصه بذلك في صغره ، وقيل : كان من يلقاه يشم منه رائحة الطيب ، وقيل : كان يعتاد شم التفاح ، وقيل : لقب بذلك للطافته . وقال إبراهيم الحربي : سمي سيبويه : لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان ، وكان في غاية الجمال .

وأهل العربية يضبطون هذا الاسم ونحوه - مثل نفطويه ، وخالويه - بفتح الواو وسكون الياء . والعجم يقولون : سيبويه ونفطويه ، بإسكان الواو وضم ما قبلها وفتح الياء .

وقد جاء هذا الضبط في شعر لابن بسام ، يذم فيه نفطويه :

رأيت في النوم أبي آدم صلى عليه الله ذو الفضل
فقال : أبلغ ولدي كلهم من كان في حزن وفي سهل
بأن حوا أمهم طالق إن كان نفطويه من نسلي

وما ذكرناه من أن ترجمة « سيبويه » هي « رائحة التفاح » هو المشهور في كتب النحاة والمؤرخين العرب ، واستظهر بعض المستشرقين : « ف. كرنكور » أن الترجمة الصحيحة هي « تفاحة صغيرة » لا « رائحة التفاح » .

تاريخ ومكان ولادته :

لم يعرف بالضبط تاريخ ميلاده . أما مكان ولادته فقريبة من قرى شيراز تسمى البيضاء ، بلدة الحسين الخلاج المتصوف المشهور ، والقاضي البيضاء المفسر الشهير .

نشأته العلمية :

ترك سيبويه البيضاء ، مسقط رأسه وهو صغير ؛ وذهب إلى البصرة يدرس الفقه والحديث على إمام الحديث ، وشيخ أهل البصرة في العربية إذ ذاك ، حماد ابن سلمة بن دينار (المتوفى سنة ١٦٧ هـ) وكان سيبويه يستمل عليه يوماً .

فقال حماد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء » ، فظن سيبويه أن حماداً لحن في الحديث ، فاستعمل المنصوب مكان المرفوع ، فرد على حماد قائلاً : « ليس أبو الدرداء » ، فقال حماد : « لحن يا سيبويه » ، فقال سيبويه : « لا جرم » ، لا طلب علماً لا تلحنني فيه أبداً . .

ثم لزم الخليل وانقطع لدراسة النحو ، حتى بلغ فيه الغاية ، وصار أعلم أهل عصره ، واستحق بجدارة لقب « إمام البصريين » .

وقد خلد اسمه ، وأبقى ذكره في الناس كتابه العظيم ، الذي لم يسبقه إلى مثله أحد من المتقدمين ، ولم يجاره في تأليفه أحد من المتأخرين ، فكلهم عيال عليه .

شيوخه :

أشهر شيوخ سيبويه الذين اتصل بهم ، وأفاد منهم خمسة :

١ — عيسى بن عمر الثقفي (المتوفى سنة ١٩٤ هـ) وكان قد ألف كتابين في النحو : « الإكمال والجامع » ، ولم يوقف لهما على أثر . وفيهما يقول تلميذه الخليل .

بطل البحر جميعاً كله غير ما أحدث هيسى بن عمر
 ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقر
 ٢ - الخليل بن أحمد ، صاحب كتاب العين ، وواضع علم العروض
 (المتوفى سنة ١٧٥ هـ) حكى سيبويه في كتابه الكثير من المسائل عن الخليل ،
 وكلما قال في كتابه : ، وسأله ، أو قال : ، قال ، من غير أن يذكر الفاعل وإنما
 يعنى الخليل . فإذا حكى قولاً عن الخليل ثم أردفه بقوله : ، وقال غيره ، وإنما
 يعنى بذلك نفسه ، سيبويه ، ، وهذا مظهر من مظاهر أدب سيبويه مع استاذه ،
 وكان الخليل يحله ويكرمه . قال ابن النطاح : كنت هند الخليل يوماً ، فأقبل
 سيبويه ، فقال الخليل : مرحباً بزائر لا يمل ، .
 قال أبو عمرو الخزومي - وكان كثير المجالسة للخليل - ، وما سمعت الخليل
 يقولها لأحد إلا لسيبويه ، .

٣ - يونس بن حبيب (المتوفى ١٨٢) ، وكانت له بالبصرة حلقة يختلف
 إليها الأدباء وفصحاء العرب ، وأهل البادية ، روى عنه سيبويه كثيراً وسمع منه
 الكسائي والغراء ، وقال أبو زيد الأنصاري : جلست إلى يونس بن حبيب عشر
 سنين ، وجلس إليه قبلي خلف الأجر عشرين سنة ، عاش يونس نحو تسعين سنة
 لم يتزوج فيها ، ولم يتسر .

٤ - الأخفش الأكبر ، عبد الحميد بن عبد الحميد المتوفى سنة (١٧٧) هـ
 أول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا
 إذا فرغوا من القصيدة فسروها ، ونقل عنه سيبويه كثيراً في كتابه فقال :
 وسألت أبا الخطاب .

٥ - أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة (٢١٥) هـ . صاحب كتاب النوادر .
 وكان عالماً بالنحو واللغة ثقة .

قال أبو زيد هذا : ، كان سيبويه غلاماً يأتي مجلسي ، وله ذوابتان . فإذا
 سمعته يقول : ، حدثني من أثق بعريته ، وإنما يعنني .

تاريخ ومكان وفاته :

اختلف في تاريخ وفاته : فقل مات في سنة إحدى وستين ومائة (١٦١) :

وقيل سنة سبع وسبعين ومائة (١٧٧) ؛ وقيل سنة ثمانين ومائة (١٨٠) ، وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة (١٨٨) ؛ وقيل سنة أربع وتسعين ومائة (١٩٤) ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وقيل نيف وأربعون . واختلف أيضا في المكان الذي مات فيه . فقيل : مات بالقرية التي ولد فيها ، البيضاء . وقال ابن قانع : مات بالبصرة . وقال ابن الجوزي : توفي بمدينة سارة .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أن سيبويه مات بشيراز وقبره بها ، ورجح هذا القول : لأن ابن دريد خبير بأخبار البصريين ، ثقة فيها .

قال أبو سعيد الطوال : رأيت على قبر سيبويه هذه الأبيات مكتوبة : - وهي لـ سليمان بن يزيد العدوي - .

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ونأى المزار ، فأسلوك وأقشعوا
تركوك أوحش ما تكون بقفرة لم يؤنسوك ، وكربة لم يدفعوا
وقضى القضاء وصرت صاحب حفرة هنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا
وكان سيبويه — رحمة الله — كثيرا ما ينشد هذا البيت .

إذا بل من داء به ظن أنه كفيته نجا وبه الداء الذي هو قاتله
كتاب سيبويه :

لم يؤلف سيبويه إلا كتابا واحداً ، عرف عند أهل العربية بإسم الكتاب ، وهو أقدم كتاب وصل إلينا ، مؤلف في علم النحو .

ولم يصدره مؤلفه بمقدمة كمادة المؤلفين ، ولكنه بدأ بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين .

هذا باب علم ما السكلم من العربية . الخ .

والكتاب شاهد بفضل مؤلفه ، وسعة إطلاعه ، وغزارة علمه ، فلم يترك من مسائل النحو صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ونسب فيه إلى كل من شيوخه أقواله . وكان ثقة في كل ما قال .

روى عن أبي عبيدة أنه قال : دقيل ليونس بمد موت سيبويه : إن سيبويه صنف كتابا في ألف ورقة من علم الخليل ؛ فقال ليونس : ومتى سمع سيبويه هذا

كله من الخليل ؟ جيتوني بكتابه ، فلما رآه يونس قال : يجب أن يكون قد صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عنى . .
وقال الجاحظ : لم يكتب الناس فى النحو كتابا مثل كتاب سيبويه ،
وجميع كتب الناس عليه عيال . .

شرح الكتاب .

تناول كثير من العلماء كتاب سيبويه بالشرح والتعليق . فمن شراحه :
السيرافى ، وابن المراج ، وابن خالوية ، ومبرمان ، وابن الباذش ، والشلوطين ،
وابن خروف ، والبطلاني ، والرمانى ، وابن الضائع .
ومن شرح شواهد : السيرافى ، وابنه يوسف ، والزحشرى ، والشفهرى ،
وبحى بن عبد المعطى صاحب الالفية المشهورة .

ومن أعقب سيبويه أبو بكر الزبيدى الأندلسى المتوفى بأشبيلية سنة ٣٧٩
فقد ألف كتابا سماه : الاستدراك على كتاب سيبويه . . وقد نشر هذا الكتاب
بعناية المستشرق الإيطالى . . جيويدي . وطبعه بمدينة روم سنة ١٨٩٩ و صدره
بمقدمة باللغة الإيطالية .

طباعات الكتاب

طبع كتاب سيبويه ثلاث مرات .

الاولى بالمطبعة الاممية بباريس سنة ١٨٨٣ بنهاية المستشرق ديرنيزبورج
والثانية بكلكتا سنة ١٨٨٧ . والثالثة بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٨٩٩ .
وتتميز طبعة باريس بأنها مصدرة بمقدمة طويلة باللغة الفرنسية بينت
مصادر الكتاب ، وأمكنه وجودها ، ونبذة من تاريخ سيبويه ، وطائفة من
النحاة الذين اشتغلوا بكتابه .

وتتميز طبعة بولاق بأنها مزينة بنقد من شرح السيرافى ، وشرح شواهد
الاعلم الشافعى المسمى بكتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر
الادب فى علم مجازات العرب . .

وقد ترجم كتاب سيبويه إلى اللغة الألمانية ترجمة المستشرق الالماني Jahn جهن ،
وطبعت ترجمته الألمانية ببرلين سنة ١٨٩٤ م ولا نعرف أنه ترجم إلى لغة أخرى .

مفردات فلسفية

لفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ بكلية أصول الدين

تحدثنا في الكلمة السابقة عن مسألة الكليات أو المهاييا العامة ، ونشأتها في التاريخ ، وكيف صارت مشكلة لها خطرهما وبخاصة في العصور الوسطى ، وأشرنا إلى أن وجه الإشكال فيها ، من ناحية المعرفة والوجود ، هو معرفة ما إذا كان هناك وجود حقيقي لهذه المهاييا خارج الأشياء التي توجد فيها وجودا حسيا : أو أنه ليس لها وجود إلا في هذه الأشياء فقط : أو أنها ليست إلا أسماء لا حقائق لها ولا تدل على أي ضرب من ضروب الوجود . ثم أشرنا إلى أن الخلاف في هذا كله كان منه هذه المذاهب :

١ — المذهب الواقعي Réalisme

٢ — المذهب الاسمي Nominalisme

٣ — المذهب التصوري Copceptualisme

واليوم نتناول بالبحث هذه المذاهب الثلاثة

المذهب الواقعي :

يذكر الأستاذ لالاند - A. Lalande ، لهذا المذهب معان ودلالات مختلفة حسب العصور وحسب نواحي المعرفة المتعددة ، ومن هذه المعاني نذكر ما يلي :

١ — مذهب أفلاطوني يرى أن الكليات (كالحبوانية والإنسانية) أدخل في الحقيقة والوجود من الكائنات الفردية المتشخصة (مثل هذا الحيوان

ومذا الإنسان اللذين أراهما أمامي) التي تتمثل فيها هذه الحقائق ، والتي ليست إلا ظلالا وصورا لهذه الكليات أو المعاني العامة "les idées" .

ب — وفي العصر الوسيط صار هذا المصطلح يدل على المذهب الذي يعتبر أن هذه الكليات العامة لها وجود مستقل عن الأشياء التي تظهر فيها . فالإنسانية لها وجود خارجي مستقل عن هذا الإنسان ؛ وكذلك الجمال والعدالة مثلا ، لكل منهما - كجارية أو فكرة عامة - وجود مستقل عن الشيء الجميل والعمل العادل . وبهذا المعنى ، يكون مقابلا للمذهب الاسمي والمذهب النعوري ، ولكن من وجهتي نظر مختلفتين على ما سنعرف .

ج — ويراد به عند الرياضيين المعاصرين الفكرة التي تقول بأن الأشكال والحقائق الهندسية ، أو الرياضية بصفة عامة ، ليست من اختراع العارف العالم بها ، بل إنها موجودة قبله ، وعمله ليس إلا كاشفا لها ، أي - كما نقول في الأزهر - عمله ليس إلا مظهرها ، لا مثبتا لها .

د — وفي علم الجمال قد يراد بهذا المذهب أن الفن ليس له أن يبحث في أن يمثل لنا وجودا أعلى مما هو موجود في الطبيعة ، أي أنه ليس له إلا أن يبرز لنا الخصائص الحقيقية الأساسية لما هو موجود فعلا .

هذا ما نختاره مما ذكره الأستاذ أندريه لالاند ، ومنه نعرف أن أصحاب هذا المذهب يرون بصفة عامة أن المفاهيم العامة موضوعية ، وأن لها وجودا أقرب للحقيقة من وجود الكائنات المحسوسة . ومن هؤلاء الذين ذهبوا هذا المذهب قبل أفلاطون ومن أخذ أخذه ، من غلو إلى درجة تقرير أن هذه الكليات لها وجود ومتحقق خارج الذهن سابق على وجودها في الأشياء التي تتمثل فيها .

المذهب الاسمي :

يقابل هذا المذهب المذهب الواقعي ، إذ كل منهما في طرف مقابل للطرف الآخر . ذلك بأن المذهب الاسمي ، هو مذهب الذين ينكرون حقيقة وجود المعاني أو المفاهيم الكلية ، فلا يرون فيها إلا كلمات وأسماء اصطلاح عليها للدلالة على ما تشير إليه من معان ومدركات .

وعلى هذا المذهب ، لا تكون ماهية الإنسان ، أى الحيوان الناطق ، لها وجود خاص ، وحقيقة مجردة يسبق وجودها وجود الأناس نفسها كما يقول أفلاطون . بل لا تكون هذه الماهية إلا ، اسماً ، يدل على هذا الإنسان ، وذلك الإنسان الآخر ، دون أن تكون حقيقة قائمة وحدها بنفسها .

والخلاف بين هذين المذهبين ، فيما يختص بمسألة المعرفة خلاف خطير ، نشأت عنه معارك عنيفة في العصر الوسيط . ونعتقد أنه لا يزال لهذا الخلاف أثره حتى اليوم ، ما دام لا يزال لكل من المذهبين ممثلون في هذه الأيام ، كما نعتقد أن في كل من هذين مغالاة ، وأن الحق قد يكون في الاعتدال والتوسط بينهما .

المذهب التصوري :

لهذا المصطلح ، كأغلب سائر المصطلحات الفلسفية ، دلالات مختلفة ، نختار بعضها هنا :

١ — إنه مذهب من يرى أن الكليات لا توجد في نفسها ، لا قبل الأشياء ولا في الذوات التي تكون هذه الأشياء . ولكنها ليست إلا من عمل العقل وخلقه ، هذا العقل الذي ينتزع الماهية العامة للشيء من الخصائص الثابتة في أفرادها جميعاً . وإذا ، فلا تكون الكليات ، حسب هذا المذهب ، موجودة وجوداً مستقلاً كما يقول الواقعيون ، ولا مجرد أسماء كما يرى الاسميون ، بل لها وجود ، ولكن في العقل فقط ، وهذا الوجود ينتزع عن الأفراد كما قلنا .

٢ — ويذكر الأب . إيلي بلان Elie Blanc ، في قاموسه الفلسفي ، أن هذا هو مذهب « أبيلارد - Abélard » ، الفيلسوف الفرنسي المعروف . وهو كأنه مذهب وسط ، بين المذهب الحقيقي والمذهب الاسمي ، إذ بحسبه تكون المفاهيم العامة تصورات للعقل .

ومثل هذا نجد في قاموس : « لاروس الجديد » . ثم يزيد أن المفهوم العام إن فصل من الأشياء التي يتمثل فيها ، لا يكون حقيقة في نفسه كما يقول الحقيقيون ، ولا مجرد لفظ أو اسم كما يرى الاسميون ، ولكنه يكون تصوراً للعقل بجمع الخصائص الثابتة لأفراد هذا الجنس ، أو الفصل جميعاً .

هذا، وأخيراً نذكر أن الناظر لشرح المواقف الإريجى وحاشية السيالكوتى، قد يسمى هذا المذهب بالمذهب الصورى، لا بالمذهب التصورى. فقد جاء بالجزء ٢: ص ١٧٠ من طبعة مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧ م، عند الكلام على الكلام على المقصد الرابع فى الوجود الذهنى، بأن الأشياء فى الخارج أعيان، وفى الذهن صور. كما جاء أيضاً د ج ٢: ص ١٦٩، بأن الوجود الخارجى أو العينى، هو وجود للشئ فى نفسه، بخلاف الذهنى فإنه وجود لصورته. ولكننا، مع هذا، آثرنا تسمية هذا المذهب بالمذهب التصورى، إذ أخذت هذه التسمية حظاً من الذبوع والقبول هذه الأيام.

الشعر الفحل

من أعلى طبقات الشعر ما قاله أبو عبادة البحرى فى الوزير الفتح بن خاقان يصف مقابلته له ويمدحه:

ولما حضرنا سدة الاذن آخرت رجال على الباب الذى أنا داخله
فأفضيت من قرب إلى ذى مهابة أقابن بدر النم حين أقابله

إلى أن قال:

فسليت فاعتاقت جنائى هيبه تنازعنى القول الذى أنا قائله
إلى مسرف فى الجود لو أن حاتم لديه لاضحى حاتم وهو عاذله
فلما تأملت الطلاقة وأنشئ إلى يبشر آنستى بخايله
دنوت فقبلت الندى من يد أمرى جميل يحياه مباط أنامله
صفت مثل ما تصفو المدام خلاله ورقت كما رق النسيم شمائله

لغويات

عضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

صفار اللون

يتردد هذا في السنة العامة. ويظن كثير أن هذا لا يجاقى العربية، فالصفار كالسواد والبياض وعلى وزنهما، وهذا يدخل على الوهم صحة استمهال الصفار. ولقد غر هذا الأستاذ اللغوي القدير عبد القادر المغربي، فذكر في كتابه «عثرات اللسان» الذي نشره في هذه الأيام كلية «الصفار» فيما تخلى العامة في شكله وضبطه وأقر الصيغة، وإنما الخطأ عنده في فتح الصاد وهي في العربية مضمومة. على أنه يرى أن هذا الخطأ في الشكل إنما هو على حسب ما في المعاجم، وهو يرى أن لا بأس بتصويب ما ينطق الناس بالفتح قياساً على السواد والبياض. وعندى أن الصيغة والزنة خطأ في اللغة، وإنما هي الصُّفْرة، وما رأينا أحد ذكر الصفار في موضع الصفرة. وإني أسوق كلامه في كتابه ثم أعقب عليه: «صفار اللون صفرتة». وصوابه ضم الصاد وهم يفتحونها، ويقولون: صفار البيض، ورجع فلان بصفار الوجه. أقول: لكنني لم أجد كلمة «صفار» إلا في اللسان. وهذه عبارته: والصفار صفرة تملو اللون والبشرة، وصاحبه مصفور، وضبط الصفار بضمة فوق الصاد، وتبعه صاحب أقرب الموارد فقال: الصفار - بالضم - صفرة تملو اللون والبشرة، وانظر لماذا لم تكن صفار بفتح أولها كأخواتها: سواد وبياض وخضار. وأقول: إن الوارد في اللسان هو الصفار على أنه دام يصفر منه اللون والبشرة، ولما كان دام جاء على صيغة الادواء «فُعال»، ولم يجيء على صيغة اللون، وانظر قوله: «وصاحبه مصفور»، أي مصاب بداء الصُّفْار، وما عهد في وصف اللون مفعول: وإنما الوصف من الاصفرار أصفر

كما هو معروف . والصفار داء في البطن ويقول فيه صاحب القاموس ، إنه الماء الأصفر يجتمع في البطن ، ويقول ابن القوطية في أفعاله : « صِفِرَ صُفْراً . أصابه الصفار : داء في البطن ، فترى أن ليس حديث اللسان في صفار اللون كما فهم الأستاذ المغربي . وترى الأستاذ يثبت الخضار لونا للخضرة ، ولم أر هذا ، والخضار - كما في القاموس - : اللبن يُذَقُّ بالماء ويُخْلَطُ . فالخضار والصفار لا سند لهما في العربية . وصفار البيض لا يقال ، وإنما هو صفرة البيض ، أو مُحْ البيض أو محته أو صفراؤه . ولا يقال : صفار الورق بالفتح ولا بالضم .

على حسن الخلق ، وهو محبوب

وفي كتاب « عثرات اللسان ، أيضا تخطئة العامة في تسكين هاء . وإذا دخل عليها واو العطف كما في هذا المثال ، وهو يقول : « (وهو) ضمير هو بضم الهاء ، فإذا أدخلت عليه واو العطف قلت : وهو ، أي بإبقاء الهاء مضمومة . لكننا نسلمهم يقولون : وهو ، بتسكين الهاء ، ألا يكون هذا خطأ من قولهم ابلى ، ولكنه في علم العروض جائز ، يريد أنه جائز في ضرورة الشعر لا في النثر والاختيار . وتسكين هاء هو بعد واو العطف جائز في الشعر والنثر ، وقرئ به في القراءات المتواترة ، ولهذا حرصت على التنبيه عليه في هذا الموطن خشية أن ينكر على بعض القراءات الصحيحة ، ويقول الرضى ^(١) في شرحه للكافية : « وتسكين هاء هو وهي بعد الواو والفاء واللام الابتداء جائز ، وفي تفسير ^(٢) النيسابوري على هامش الطبري : « وهو وبابه يسكون الهاء أبو جعفر ونافع غير ورش وعليّ وأبو عمرو ، . وفي تفسير الخطيب الشربيني عند قوله تعالى في سورة البقرة : وهو بكل شيء عليم : « وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي : وهو يسكون الهاء ، والباقون بضمها ، .

لم يسافر محمد بعد ، ما قدم على بعد

يجرى على ألسنة الناس هذا الأسلوب . تقول : هل سافر فلان ؟ فيقول المستول : لم يسافر بعد . والمفهوم من خوى هذا الأسلوب نفي الحدث في الماضي

وتوقعه في المستقبل ، فإذا قلت : لم يسافر بعد فكأنك قلت : لمّا يسافر . وقد وقع السؤال عما يضاف إليه بعد هنا ، ففي هذا المثال لم يسافر بعد ماذا ؟ وقد عي كثير بالجواب فلم يهتدوا إلى الوجه فيه ، وفي الحق أن الأمر فيه غامض غير بّين . وقد توقف بعض الباحثين فيه ولم يحزم بأنه عربي ، فسكان من الواجب تقديمه تجلية أمره من هذه الجملة . فهل أثر عن العرب منه شيء ، أم هو أسلوب مولد جاء به الناس بعد عصر الاحتجاج . وقد وقفت على هذا الأسلوب في خبر رواه ابن هشام في سيرته^(١) وهو : . أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو جالس في الناس إذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد يريد عمر ابن الخطاب . فلما نظر إليه عمر قال : إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد . . وقال^(٢) قيس بن ذريح :

وفي عروة العذرى إن مت أسوة وعمر بن عجلان الذي قتلت هند

وبى مثل ما ماتا به ، غير أنى إلى أجل لم يأتى وقته بعد

وبعد اليقين بمرية هذا الأسلوب يتوجه البحث في تخرجه . ويبدو لي أن الأصل : لم يسافر بعد مدانة التفر وكسبه ، أى بعد أن كاد يسافر ، وبعد هنا في معنى مع ، كما تقول : على عالم ، وهو بعد هذا رضى الخلق . وهكذا يقدر المضاف إليه في سائر الأمثلة على هذا النهج . ففي قول عمر : إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أى بعد إضلال الإسلام له وغلبته ، ومقاربة إسلامه لقوة دلائل الإسلام وعظم سلطانه . وقول قيس : لم يأتى وقته بعد أى بعد أن أشرفت عليه وكاد يدركنى من هول الحب وفرط العشق .

ويبدو لي وجه آخر . وعو أن الأصل في قولك : لم يسافر على بعد جملتان : لم يسافر ، سيسافر بعد أى بعد زمن الحال إذ كان هذا يفيد نفي الماضى وتوقع المستقبل كما أسلفت ، واختزل الكلام وميل به إلى الإيجاز ، فحذف فعل الإثبات ، وأصبح الباقي أسلوبا مفهوما الغرض بين المراد .

(١) ص ١٢٩ ج ١ على هامش الروض .

(٢) من أمالي الفراء ص ٢١٩ ج ٢ طبعة دار الكتب .

وقد عرض العلماء لاسلوبين فيهما بعد لا يبدو فيهما ما في أسلوبنا من إشكال وهو أن يقال لك : أسافرت ؟ فتقول : أسافر بعد أى بعد ما مضى ، وإذا قلت : لا أسافر بعد فالمعنى بعد ما نحن فيه . نص عليه أبو البقاء في كلياته ^(١) ، وكان ذلك لأن المضارع في الأول للحال فهو بعد الماضى ، وفى الثانى للاستقبال فالعمدية فيه منسوبة للحال ، وذلك أن ^(٢) لا تخلص المضارع للاستقبال كما يراه سيبويه ومن تبعه ، وإن خالف فى ذلك ابن مالك .

أعطيت لفلان كتابا - أعطيت الجائزة لفلان

يفشو هذا الاستعمال فى السنة الناس ، ولا يحس كثير منهم فيه حرجا . وهو بعد مخالف للعربية : فإن فعل الإعطاء يتعدى إلى مفعولين بنفسه ، والشواهد على هذا من الكثرة بحيث تستغنى عن الإيراد والإطالة . على أنه قد جاء فى شعر الليلى الأخيلىة تمدح فيه الحجاج قولها :

أحججاج لا تعط العصاة منهم ولا الله يعطى للعصاة منهاها

ويجعل النحويون اللام فى هذا البيت زائدة . ومثل ذلك زيادتها فى قوله تعالى فى سورة النحل : قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون : فردف فى معنى تبع يتعدى بنفسه إلى المفعول ، ولكن زيدت اللام لنا كيد وصول الفعل إلى المفعول ، كما زيدت الباء فى قوله تعالى : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . ولا يرضى بعض العلماء القول بزيادة اللام فى الآية ويميل إلى تضمين ردف معنى دنا أو أزف أو قرب . وقد جعل من زيادة اللام فى المفعول قوله تعالى فى سورة الحج : وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ، فإنيما هو : بوأنا لإبراهيم مكان البيت أى أقنناه فى هذا المكان وجعلناه له مباءة ومرجعا . وقد ورد تعدية بوأ إلى مفعوليه بنفسه فى قوله تعالى : وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ، وقوله تعالى : لنبوتهم من الجنة غرقا . ويرى بعضهم فى آية الحج أن المفعول الأول محذوف أى بوأنا الناس مكان البيت واللام فى لإبراهيم للتعليل ، وهذا رأى بعيد .

(١) ص ٩٥ (٢) انظر شرح الرضى للكافية ص ٢٣١ ج ٢ .

وزيادة اللام ترد باطراد وقياس عند جميع النحويين إذا كان العامل فعلاً مؤخراً ، أو كان وصفاً ، وذلك كقولهم تعالى : إن كنتم للرؤيا تعبرون ، وقوله : هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ، وقوله تعالى : فعال لما يريد ، وقوله مصدقاً لما معهم . ويرى ابن مالك تخصيص ذلك بالفعل المتعدي لواحد ، ولا يرضى ابن هشام هذا التخصيص . فأما إذا كان العامل فعلاً مقدماً كما في المثالين اللذين صدرت بهما البحث فجمهور النحويين على منع الزيادة للام باطراد ، ويقصرون ذلك على السماع ، وما يوردونه من ذلك قول ابن ميادة في عبد الواحد بن سليمان أمير المدينة :

وملكت ما بين العراق ويثرب مملكا أجار لمسلم ومعاهد
قالوا : التقدير أجار مسلماً ومعاهداً . ولكننا نرى بعد هذا البيت قوله :
مالهما ودميهما من بعدما غشى الضعيف شعاع سيف المارد
ويبدو لي أن مفعول أجار هو مالهما ودميهما ، فاللام في دلمس ،
ليست بزائدة .

ويرى المبرّد أن لا بأس بزيادة اللام في قولك : قرأ محمد للكتاب تريد قرأ الكتاب . وإن أسوق هنا كلامه في كامله ^(١) ، قال : والذي يستعمل في صلة الفعل اللام : لأنها لام الإضافة . تقول : لزيد ضربت ولعمرو أكرمت ، والمعنى : عمراً أكرمت ؛ فإنما تقديره : أكرمت لعمرو ، وضربت لزيد ، فأجرى الفعل مجرى المصدر . وأحسن ما يكون ذلك إذا تقدم المفعول : لأن الفعل إنما يجيء وقد عملت اللام : كما قال الله - جل وعز - : إن كنتم للرؤيا تعبرون . وإن أخر المفعول فعربي حسن ، والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة : قال الله - جل وعز - وأمرت لأن أكون أول المسلمين . والنحويون يقولون في قوله - جل ثناؤه - قل عسى أن يكون ردف لكم : إنما هو ردفكم . وقال كثير :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تتمثل لي ليلى بكل سبيل
فانظر قوله : وإن أخر المفعول فعربي حسن ، فهو يجيز أن يقال :

أعطيت لمحمد كتابا ، وهو يرى أن الفعل يذهب به مذهب الحدث والمصدر ،
ولذلك ساغ بحى اللام في المفعول . وهذا التخرج لا يعنينا في هذا الموطن ،
وإنما يعنينا تصحيح الأسلوب .

نخرج لنا من هذا البحث أن قولنا : أعطيت لمحمد الكتاب يحظره جمهرة
النحويين ولا يجوزونه ، والمبرد يحيزه في سعة الكلام .
ولا بأس باتباع المبرد في هذا ، فهو إمام فيه للوثقى أسوة ، وناهيك به
من نحوى ثقة بصير .

ومع هذا فيحسن بالكتاب ترك زيادة اللام في فعل الإعطاء فهو المنهج
البيتين الذى لا لبس فيه ولا اختلاف .

ومما يذكر هنا أن المثال الثانى : أعطيت الجائزة لفلان ، فيه إنابة المفعول
الثانى عن الفاعل ، وهو جائز لفهم المراد كما قال ابن مالك :
وباتفاق قد ينوب الثانى من باب كسا فيما التباسه أمن
والله المسئول أن يوفق للهداد .

الوعد والمطل

قال سعيد بن مسلم : وعد أبى الشاعر بشارا أن يصله على قصيدة مدحه بها .
فاستعجل بشار الجائزة ولم ينتظر غير يوم وكتب إليه :

ما زال ما منيتنى من همى الوعد غم فاسترح من غمى
إن لم ترد مدحى فراقب ذمى

فقال له أبى : هلا استنجزت الحاجة بعير الوعيد ، فإذا لم تفعل فترى بص ثلاثا
وثلاثا . فأتى والله ما رضى بالوعد حتى سمعت الأبرش الكلبى يقول لهشام :
يا أمير المؤمنين لا تصنع إلى معروف حتى تعدنى ، فإنه لم يأتى منك سبب على غير
وعد إلا هان على قدره وقل منى شكره .

مكتبة الأَخْلَاقِ

بين الفلسفة والأدب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو بكر ذكرى
الأستاذ بكلية أصول الدين

الفصل الثالث :

والآن وقد عرضنا تلك الفضيلة ، فضيلة العدالة ، عرضاً فلسفياً تاريخياً على قدر ما سمح لنا به الزمان والمكان ، نستعينه تعالى في معالجة الناحية العملية لهذه الفضيلة ؛ لأن معالجة النواحي النظرية والتاريخية المحضة لا تؤتي من الثمرات كل ما يطمح إليه المصلح الأخلاقي .

وإن عناصر هذا البحث تستدعي ، بدياً ، إيضاح الأسباب والعوامل النفسية ، والطبيعية ، والاجتماعية ، التي تنحرف بالافراد والجماعات عن سنن العدل ، وتحملهم على مركب الجور والبغى ، وتلبسهم من رذيلة الظلم لبوساً ما كان أحرامهم بأن يلبسوا بدلاً منه لبوس العفة والعدالة ، لتظهر إنسانيتهم في أبهى مجاليها وأسمى معانيها . كما أنها تستدعي ، بعد ذلك متابعة البحث عن أفضل طرق العلاج الأخلاقي ، وعن أجمع الأدوية والمطهرات النفسية التي يرجى منها برء النفوس الإنسانية من أدران تلك الرذيلة الخبيثة القاتلة .

ونعني هنا بالأسباب والعوامل النفسية تلك الظواهر الفطرية ، التي بدلتنا البحث الدقيق على أنها بعض طبيعة الإنسان منذ سوى إنسانا ، ومن قبل أن تلجئه طبيعة البيئة أو عدوى المجتمع إلى مفارقة الظلم والعدوان ، كما نعني بالأسباب الطبيعية تلك الضرورات المادية التي يلجأ بسببها الكائن الإنساني إلى

العدوان دفاعاً عن النفس ، مضطراً إلى ظلم سواء في سبيل العيش أو قتل نفسه جوعاً وحرماناً إذا كف عن ذلك العدوان . أما الأسباب والعوامل الاجتماعية فتعني بها تلك النزوات التي تدفع الإنسان إلى العدوان ، متأثراً بروح الجماعة التي يعيش فيها ، ولأجل تحقيق مطامع لا تقتضيها ضرورة الحياة ، وإنما هي ضرب من الأثر والبطر والتجنى وحب الغلب والسيادة والظهور بمظاهر البطولة ، يقلد الصغير فيها الكبير ، ويتبع اللاحق فيها السابق .

وبالرجوع إلى مظاهر التطور الإنساني في التاريخ ؛ نجد أن النوع الأول وهو العوامل النفسية هو أقدم الأسباب والعوامل جميعاً في الطبيعة الإنسانية ؛ بل لقد ذهبت بعض الديانات ، واشتط معها بعض الفلاسفة المتشائمين ، إلى أن العدوان والبغى هو الطبيعة الإنسانية كلها ؛ ولذا أوجبت البرهمية أن تكون نهاية هذا البدن المذنس أن يحرق بالنار بعد الموت تطهيراً له ، إذ لا سبيل إلى تطهيره مادام يفيض فيه بالحياة عرق . ويقول بعض الفلاسفة المتشائمين :

خسست يا أمنا الدنيا فأف لنا بنو الخديسة أوباش أخساء
ويقول :

إذا بكر جنى فننوق عمراً فإن كليهما لآب وأم

أما الحكيم الشاعر المتنبي فيقول :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فلعله لا يظلم
ولعل هذه الحكمة ، على ما يتوثب فيها من ثورة نفسية ، لم تبعد عن الحقيقة كثيراً .

إن الظلم بلا مرأه ، هو بعض شيم النفس الإنسانية . وكما فيها من عجائب وغرائب لكم فيها من خير وكما فيها من شر ، وإنما الموضع في حكمة المتنبي أنه يضع الظلم في الكفة الراجحة ، لأن أية فضيلة تقابله لن تستطيع الرجحان إلا ومعها آلة تتيح في الطبيعة الإنسانية مغمزاً . وعندى أنه مهما يكن في تلك الفضائل التي تقابل الظلم من مغمز ، ومهما تكن علمها تعد خيراً إذا ما قورنت برذيلة الظلم نفسها على بشاعتها وقبحها .

وهذه العوامل النفسية التي تمد رذيلة الظلم في الطبيعة الإنسانية تنوع وتشكل ؛ فبعضها يرجع إلى الغرائز نفسها حين تتحرك في الإنسان ؛ كما تتحرك في الذنب والفرد والنمر ثم لا يجد بازائها من الحصانة العقلية والحكمة ما يرد على ميولها الساذلة ، ويكسر من شرتها ويلطف من حدتها . والنتيجة العميقة لتلك الميول إما أن تكون على النفس أو على العرض أو على المال أو على السمعة التي يمتاز بها ذوو المواهب والفضائل ، أو على مواهبهم نفسها .

ولسنا نبالغ إذا ما قلنا إن جميع الناس ، خلا المعصومين منهم ، عرضة لمقارفة هذه الرذيلة ، خطأ نادراً في الأخيار ، وطبعاً وعادة في الأشرار .

وبهذه الدوافع النفسية كانت أول مأساة من الظلم إذ أزهق فيها قابيل نفسه أخيه هابيل ؛ غيرة وحسداً دون ذنب أو جريمة تستأهل ذلك العدوان . وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق إذ قربا قربانا ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلك قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لأن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . . . ، الآيات الكريمة من سورة المائدة .

وقد يكون من تلك العوامل النفسية حالات مرضية طاغية ، يزيد بها غرور المنصب والسلطة هوساً إلى هوس . ومن ذلك ما يروى عن الظالم الشهير الامبراطور نيرون الحاكم الروماني في النصف الثاني من القرن الاول الميلادي : أنه أضرم النار في مدينة روما ثم جلس على مرتفع يطل منه على المدينة منتشياً بمنظر اللهب ، يدمر كل شيء تدميراً على حين كانت أنغام الموسيقى تصدح في مجلسه لتزيده جنونا على جنون . وسواء أصححت الرواية في هذا أم كانت مبالغة في تهويل ظلم ذلك الضاغية ، فإنها صورة من صور الطغيان جديرة بأن تضرب مثلاً لذلك النوع المرضي الجنوني من الظلم . على أنها مع ما فيها من بشاعة ليست أمراً مستحيلاً ولا مستبعداً . وقد أسلفنا في مقال قبل هذا ما كان من أمر فرعون موسى إذ قال : يا هامان ابن لي صرحاً لعل أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذب . . . ، وفي هذا ما يمكن أن يضرب مثلاً للهوس وجنون القوة .

أما عن أسباب هذا المرض النفسى نفسها فأمر يجدر بنا أن نترك التعمق في تحليله لأساطين علم النفس . ومع ذلك فإن الملاحظة التاريخية تشعرنا بأن منها ما هو خلل في الفطرة نفسها ، كما مر مثاله في نيرون و فرعون . ومنها ما هو من قبيل مركب النقص ، الذى تبدو أعراضه على كثيرين من الذين ينتون إلى بيئات وضيفة ثم يصلون من طريق الوصولية ، أو سواها ، إلى الرياسة والنفوذ . ولنا نبالغ إذا قلنا : إن أكثر الصوالين بالظلم هم نبت هذه البيئات ، ولنا نغنى ها البيئات الفتيرة ، كما قد يظن ، فكم ينبت منها أحيانا من عظام وفضلاء حقيقيين ؛ إنما نغنى تلك البيئات المنحلة المسرفة التى لا تعرف قانوناً للحياة يلتزم ، ولا دستوراً للأدب يحتذى ، والتى تتردى دائماً بعماياتها فى مهاوى الهون . إن نبت هاتيك الأسر لن يكون ، فى غالب الأحيان إلا حسكا وزقوما وعوسجا شائكا كذلك الذى يقول فيه الشاعر .

عذرتنا النخل فى إبداء شك
يردبه الأنامل عن جناه
فما للعوسج الملعون أبدى
لنا شوكا بلا ثممر نراه

والحق أن الشوك والشوكة سلاح مشروع فى سبيل الدفاع عن العدالة والصالح العام ، أما شوكة الظالمين وأشواكهم فلمست أكثر من أذى للإنسانية ليس وراه من ثمر .

وإذ قد بان لنا أن الظلم فى صورته النفسية ، يرجع فى الأكثر إلى سببين : هما الخلل فى الفطرة ، وسوء المنبت الذى يظهر أثره فى صورة مركب النقص ، يحسن بنا أن نشير الى أن مركب النقص ، قد يكون مرده أحيانا إلى عيب خلقى ، بكسر الخاء ، كأن يشعر الحاكم الظالم أنه منقوص الخطر من هذه الناحية ، لأنه ضئيل نحيل أو ذو عاهة منفرة ، أو بشع الصورة أو ما إلى ذلك من أسباب يساعدها جهله أن هذه الميوب الجسمانية غير جذيرة بأن يؤبه لها فيصور له خياله السقيم أن لا مفر له من تمويض هذا النقص ، بإظهار التعجر والعسف ، لينال الاحترام قسرا بعد أن فاته طواعيته . ولو كان له من العلم ما يشعره ، أن فضيلة العدالة هى أسنى من كل جمال جسمانى فى هذه الدنيا ، لاختار لبوسها وتزين بها ، فسكان من المواقين .

وتدلنا التجارب على أن الخلل في الفطرة ، دام عسير العلاج لأنه الحماقة التي تأتي من يداويها . أما مركب النقص ، فلا علاج له إلا أن يتنبه الرؤساء إلى ملاحظة مرسوميهم ، ويتبعوا سلوكهم وسيرتهم في الناس ، ويرشدوهم إلى ما هو الأقوم من السلوك مع أبناء مجتمعهم ، وأن يعلموهم بالقدوة في أنفسهم محاسبة الناس ، واحترام إنسانيتهم وأن الناس ليسوا خدامهم ولا عبيد لهم ، وإنما هم مواطنوهم وسبب نعمتهم ، وأنهم بدون أبناء مجتمعهم لن يكونوا شيئا مذكورا . ومن يرجع إلى تاريخ الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يتعلم من فضيلة العدالة ما يغنى عن دراسته أسفار كاملة . وحبذا العمل الطيب لو تبه وعاطفا إلى هذا السبيل ، وشغلوا أنفسهم به ، ودلفوا إلى كل من ينحرف عن جادة العدالة من عمال الدولة ، وأخذوه بالنصائح الملطفة ومدح التواضع ، وشرح مزية العدل وفوائده للحاكم والمحكوم على السواء ، وقديما أيام العصور المظلمة كان الوعاظ يتحايلون لوعظ الظالمين بوضع حكايات تعنيهم ، على السنة الحيوان ، لتقرع أسماعهم في لطف وتنج إلى قلوبهم في رفق . فهل يعز على وعاظ زماننا ، وهو عصر النور ، والحرية ، والصراحة أن يشنوا حربا سلمية حكيمة على هذه الرذيلة الشنعاء ؛ ليفسوا من أوضاعها قلوب مرضاها ؟

أما الأسباب والعوامل الطبيعية ، والاجتماعية لرذيلة الظلم ، فنوعان يتداخلان ويتشابكان لأن قسوة البيئة وإجداها مؤثرات مادية تدفع بطبيعتها الإنسان إلى العدوان ، دفاعا عن الحياة ، كما شرد ذلك في الجاهلية العربية ، وشعوب الجرمان قديما ، والجزائر البريطانية قبل أن تغزو وتفتح وتستخدم أساطيلها في السيطرة على الأقطار والأمم المختلفة .

بدأت تلك الأمم وأمشاها الحياة في بيئات فقيرة ، تدفع أبناءها إلى العدوان؛ فقتلوا وسلبوا ونهبوا حتى تعودوا القتل والسلب والنهب ، ولكن بعض ما تترك الأمم تقدمت في مدارج الحضارة والعمران خطوات ، بل مسافات شاسعة ، وأصبح مكانها مرموقا بالإعظام ، لما هي عليه من العلم والحضارة والنظام . بيد أن عوامل أخرى للظلم والعدوان ، قد نشأت بنشأة تطورها الاجتماعي وترقت معه كما ترقى . فأصبحت تلك الأمم تنظم ذلك العدوان على الأمم ، وتلبسه

اسماء مختصرة قسّميه ، ترقية الأمم المتأخرة ، ، حرية الاقليات ، أو ، مواقع استراتيجية ، . إلى غير ذلك مما عرفه العالم ، حتى أصبح نغمته بموجة وحديثا معادا ، وما هو في الحقيقة إلا أن هذه الأمم مع ترقيا تعودت مستوى اجتماعيا من الحياة يمتصها السيطرة على كل موارد العالم لو استطاعت إلى ذلك سبيلا .

ودعوى القوى كدعوى السباع من الظفر والنااب برهانها

ولو ذهبنا نحصى تلك الدعاوى وتلك البراهين لدخلنا في طريق لا ينتهى . وحسبنا هنا أن ندعو تلك الأمم بدعوة الإنسانية لكي تنوب الى رشدنا وتؤثر العدالة ، وتبذل جهودها في مساعدة الأمم الاخرى حقاً وصدقاً ، وإلا فإنها ستظل عادية معدية عليها ، قاتلة مقتولة ، لا تلتهى من حرب إلا لتدخل أخرى ، ولا تظفر بنصر إلا وقد اشترته بأعلى من ثمنه أضعافاً مضاعفة . وعسى أن تفيق الإنسانية من سكرتها ، وتحل العدل محل العدوان ، فإن في ذلك أول دعامة من دعائم السلام والأمن والسعادة . وإن في تعاليم الإسلام السمحاء لدعوة حارة لهذه العدالة البيضاء . كما أن من دواعي الفخر بحمدته تعالى أن موقف أمتنا المصرية من هذا المعترك العالمى يعد بحق من مفاخر الإنسانية .

وفقنا الله إلى درك الغاية الإنسانية الكبرى في ظل جلالة مولانا الملك العادل الفاروق الأول أعز الله نصره ، وخلد للعدل ملكه . هو حسبنا ونعم الوكيل .

من كلام على بن الحسين

قال على بن الإمام الحسين رضى الله عنهما : « المرء يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة .

ومن دعائه رضى الله عنه :

اللهم ارزقنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعد ، حتى لا أرجو إلا ما رُجيت ، ولا أخاف إلا خُوفت .

المؤمنون الصادقون

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب

مفتش الوعظ بالأزهر

قال الله تعالى في محكم كتابه وهو أصدق القائلين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

في هذه الآية الكريمة يصف رب المؤمنين عباده المؤمنين بأوصاف ثلاثة تحققت فيهم ، فأظهرتهم بقوة إيمانهم ، وصدق يقينهم ، وجملتهم بثمار تقواهم ، ونجح مسعاهم ، وقصرت عليهم أجد تكريم ، وأعز تأييد ، بأنهم وخدمهم الصادقون عقيده ، والصادقون استجابة ، والصادقون عملا .

وصفهم ربهم بأنهم آمنوا بالله ورسوله ، ووصفهم بأنهم لم يرتابوا ولم يجد الشك سبيلا إلى قلوبهم ، ووصفهم بأنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . فالإيمان بالله تصديق بوحدةانيته وقدرته ، ونفاذ إرادته ، واطمئنان لعدله وبالغ حكمته ، والإيمان بالرسول استجابة للأوامر والنواهي التي يبلغها عن الله ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فإنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى .

فإذا تركز هذا الإيمان بالله ورسوله في القلب ، وشع بنوره في جوانب المؤمن ، قويت العقيدة ، وصدق اليقين ، واستبصرت النفس في إشراق هذا الهدى معالم السكينة والاطمئنان ، فلا يخالجها شك ، ولا يساورها ارتياب .

وكيف يرتاب من اطمأن إلى حكمة مولاه فيما يقدره ، وإلى عدله فيما يقضيه ؟

وهو عز شأنه إنما يصرف الدنيا بما وسعه علمه وفاضت به رحمته ، وقام عليه نظام هذا الكون في عوالمه ومعاله .

فالشَّاكُونَ من أحداث القدر شاكُونَ في عدل المقدر ، والساخِطُونَ من حكم القضاء جاهلون بحكمة المدبر ، ولا والله ليس لله في تدبيره ولا تقديره إلا أن تكون معدلة بقيمها ، أو محمّدة بركها ، وإلا أن يكون فضل يسفه لجزى به فضلا ، أو قهر يسلطه ليحطم به ظلماً ، أو ما وراء ذلك من اختبار بالوان مما يتلى به المؤمنون في شدة ، أو ضيق ، أو مرض ، أو نقص في الأموال والأنفس والثمرات ، لتمحيص المؤمنين وتربيتهم ، وإعدادهم لما يريد لهم مولاهم ، قال جل جلاله : ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .

والمؤمنون بعد هذا الابتلاء والتمحيص ظافرون بالثبوة والأجر ، ظافرون بتقدير نعمة الله ، ظافرون بقيامهم بحمیل الشكر ، لأن من قدر النعمة قام بواجب الشكر ، ظافرون قبل ذلك كله ، وبعد ذلك كله بأن جعلوا من إيمانهم وتصديقهم سياجا يحيط بأفئدتهم ، فلا ينفذ إليها تظان ولا ارتياب ، فهم راضون ، مطمئنون شاكرون .

ثم يأتي بعد ذلك وصف الله لهؤلاء المؤمنين يبذل للنفس والمال في سبيل الله ، وتنطق الآية الكريمة في التعبير عن هذا البذل بأنه جهاد ، ولا عجب فإن أعز شيء يحافظ عليه المرء هو نفسه ، وأن أحب شيء يتنافس من أجله في الحياة هو ماله . فبذلها في سبيل الله ، والجود بهما في طاعة الله جهاد ، وأى جهاد .

وجاء هذا الوصف بالبذل كنتيجة لقوة الإيمان بالله ورسوله ، وأطراح الريبة والتشكك وراء النفس المؤمنة المطمئنة . المحبة لله ورسوله .

وإذن : فالنفس والمال بعد هذا اليقين ، وبعد هذا الحب ، لا يعدلان في شيء ما انطوى عليه قلب المؤمن من حب الله ورسوله ، فليبق في القلب حب

الله ورسوله ، ولين في سبيله ما عز من نفس أو مال ، وفي ذلك وأيم الحق متعة القلب ، يتذوق فيها حلاوة الإيمان وجمال الأذعان .

ويقول في ذلك سيد هذه الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاث من كن وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

ولقد تضمن وصف الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله ألوانا من العبادات والطاعات في العمل بها والاستجابة لها ، عزة الدنيا وسعادة الآخرة ، فغزو العدو المحارب ليسلم الدين والوطن جهاد في سبيل الله .

وكبح جماح الهوى الآثم جهاد في سبيل الله ، والارتفاع بالنفس عن مظان التهمة جهاد في سبيل الله ، وتحمل المشاق في أداء العبادة جهاد في سبيل الله ، وبذل المال في الزكاة المفروضة أو الصدقة المبرورة جهاد في سبيل الله .

وكل عمل إيجابي ، أو سلبي ، يعز به الدين ، وتسمو به النفس ، ويسعد به الوطن ، وتتوثق به روابط الأهل والعشيرة جهاد في سبيل الله .
فيا أيها المجاهدون بالنفس والمال هنيئاً لكم ما قدمتم وما أخرتم ، وهنيئاً لكم ما أسررتم وما أعلنتم ، وهنيئاً لكم في الذروة الرفيعة من الشأن والتكريم ، وصف الله لكم بأنكم صادقون .

، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون .

ولله در أبي العتاهية إذ يقول :

تمتع بمالك قبل الممات	والأ فلا مال أن أنت منا
شقيت به ثم خلفته	لغيرك بُعداً وحقاً ومقتنا
لجادوا عليك بزور البكاء	وجدت عليهم بما قد ملكنا
وأرهنهم كل ما في يدهم	وخلوك رهنا بما قد كتبنا

سُبْحُ الْإِسْلَامِ فِي تَرْبَةِ الْأَوْلَادِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغي

مدير المكتبة الأزهرية

أتمهى ثمرات الحياة الى الإنسان الاولاد ، يعرف ذلك من ذاق حلاواتهم
ومن ابتلى منهم بالحرمان . وبشدة مرارة الحرمان يعرف قدر نعمة الله بهم على
الإنسان ، وعلى الاولاد عمارة الارض وهى مقصود خالق الله للأكون .
قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم :
« الولد ثمرة القلب ، ولما بشر على « بفاطمة قال : « ريحانة أشمها ورزقها على الله ،
وحب الولد من طبيعة الإنسان لهذا تمنى الولد جميع الناس حتى الانبياء ، وقد
تضرع إبراهيم الى ربه أن يهبه الذرية فقال : « رب هب لى من الصالحين :
فبشرناه بغلام حلیم ، وتضرع زكريا عليه السلام فقال : « هب لى من لدنك
وليا يرثى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا .

واقصد صور كثير من الادباء والشعراء أحاسيسهم بحب الاولاد ، وهذه
الصور على تنوعها وتلونها تصدر عن عاطفة واحدة وطبيعة واحدة ، هى طبيعة
الحب الخالص والود الصادق . قال الاحنف لمعاوية : وقد غضب على ابنه يزيد
فهمجره : يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء
ظليلة ، وأرض ذليلة ، وبهم نصول عند كل جليلة ، إن غضبوا فأرضهم ، وإن
سألوك فأعطهم ، وإن لم يسألوك فابتدئهم بمنعوك ودمهم ، ويحبوك دهرهم ،
ولا تنظر إليهم شزرا ، ولا تكن عليهم ثقيلًا : فيتمنؤا وفانك ويكرهوا
قربك ، ويلعوا حياتك . وقال أبو تمام :

ولأنما أولادنا يئتنا أكبادنا نمشى على الأرض
لوهب الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

منهج الإسلام في تربية الأولاد

٨٠٥

والولد ليس ملكاً لوالديه فقط ، بل هو ملك للأمة ، ويسعد والداه ، وتسعد الأمة بمقدار توفيقهم في حسن تربيته ، وإعداد له لرسالته في الحياة إعداداً جسمياً وخلقياً ، وعقلياً ، وتربية الولد واجب مشترك ، بين الوالدين وبين الدولة ، في المنزل والمدرسة ، إلا أن الواجب الأول ، والعبء الأول ، يقع على كاهل الوالدين ، وعلى الوالدة بخاصة في حال الطفولة والصغر ، لأن تأثير الولد بوالدته في هذه الحالة يكون قوياً .

وقد قدر الإسلام خطورة هذا التأثير ، فنع أن يتزوج المسلم المشتركة ، خوفاً أن يفتن الأولاد في دينهم باتباعها ، وكذلك قدر علماء النفس والاجتماع فقالوا :

« إنه على ما يتلقاه الطفل في المنزل من الوالدين ، يتوقف إلى حد كبير ، تكوينه وإعداد له للحياة . » وقال الإمام الغزالي : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، وقابل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير عليه وعلمه ، ونشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه ، وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر ، وأهل إهمال البهائم ، شقى وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه ، الوالى له ، وقد قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا . »

وقد أرشد الإسلام إلى قواعد عامة لتربية الطفل جسمياً وعقلياً ؛ فأرشد إلى ما يقوى جسمه ، ويشد عوده ، بممارسة أنواع من الرياضة كالمسابقة والمصارعة ، والرمية ، والسباحة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة العملية في ذلك فمن سلة بن الأكوع رضى الله عنه قال : مر النبي عليه السلام على نفر من أسلة يفتضلون فقال : ارموا بنى اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع بنى فلان قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ قال النبي : ارموا فأنا معكم كلكم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بينا الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحراهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فخصبهم بها فقال : « دعهم يا عمر ، وصارع النبي صلى الله عليه وسلم ركاة فصرعه .

وعن عمر رضى الله عنه : علموا أولادكم السباحة ومروهم بثبوا على الخيل وثبا . ودعا الإسلام إلى تعليم الأولاد في تأكيد فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولم يقصرهم على لون منه دون لون الا أنه يرى أن أولى العلوم بالتعليم هو العلم الديني ، لأنه الوسيلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، وبتعاليم الدين تستقر النفوس وتطئن القلوب ، وتسعى في شئونها راضية لا يبطرها نجاح ولا يزلها فشل ، لأنها تكل مصائر الأمور إلى الله ، وجعل التعليم من حق الولد على والده وعن النبي صلى الله عليه وسلم : حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يحسن موضعه ، أى يختار والدته من أصل طيب وأن يحسن أدبه ، وفرض الإسلام العلم على كل مسلم ومسلمة ، ولم يقصرهما على لون منه دون لون فلكل منهما أن يأخذ منه ما يلائمه ويعينه على رسالته ووظيفته ، فللمرأة أن تأخذ منه ما يعدها أن تكون زوجا صالحة تسر زوجها ، وتحسن القيام على شئون منزلها ، وأما صالحة تحسن تربية أطفالها ، وتوجهها إلى حياة فاضلة سعيدة ، والرجل أن يأخذ منه ما يعده للرسالة التي يختارها لنفسه ، ويعينه على تحصيل رزقه .

وأرشد الإسلام إلى قواعد عامة في الفضائل وآداب الاجتماع هي أسس ما تصل إليه الآداب في أرق المجتمعات ، تتمثل في آيات القرآن الكريم وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل أصحابه ، ودعا الآباء إلى أن يأخذوا أبناءهم بها لينشئهم جيلا صالحا يتحلى بالآداب والفضائل : لتسعد بهم الأسرة وتسعد بهم الأمة ، وتكون كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس قال تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبشكم بما كنتم تعملون ، يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتسكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ،

إن الله لطيف خبير ، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ، وأنه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصمر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير .

وقال تعالى : . يا أيها الذين آمنوا ليسأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا أبلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم .

في هذه الآية يرشد الله الآباء إلى أن يعودوا أطفالهم الاستئذان للدخول عليهم في أوقات ثلاث هي مظان الراحة ، وعدم التقيد بلباقه في لبس أو جلوس ، ومظان أن ترفع الكفة فيها بين الرجل وأهله ، حتى لا يطلع الطفل على ما لا ينبغي أن يطلع عليه في هذه الأوقات وهي : قبل صلاة الفجر ، وعند الراحة في الظهر ، ومن بعد صلاة العشاء ، وعن عمر بن سلمة أنه كان غلاماً صغيراً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يده تطيش في الصفحة إذا أكل - أي تتحرك في الطبق دون انتظام - فقال رسول الله : يا غلام سم الله وكل بيمينك ، وكل بما يليك . إلى آداب كثيرة استفاضت بها السنة وثبتت بالنقل الصحيح عن الصحابة .

وأرشد الإسلام إلى التلطف بالأبناء في السرية والتوجيه ، حتى لا ينفروا منها ولا يتبرموا بها ولتغرس في نفوسهم في فيض من العطف الأبوي الخالص : وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان إذا رأى فاطمة رضي الله عنها مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ يدها فقبلها . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم ، وقد جاءه أعرابي فقال : أتقبلون الصبيان فما نقبلهم ؟ فقال له : « أَوَأَمْلِكُ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ » .

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنهما قالت . « أتيت رسول مع أبي ، وعلى قميص أخضر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . سنه سنه وهي

بالحبشية . حسنة قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزجرني أبي . فقال رسول :
دعها ثم قال : أئيلي وأخاقي ثم أئيلي وأخاقي .

ونذب الإسلام الى وجوب العدل بين الأولاد في العطاء ، حتى ينشأوا متحابين
متعاونين ، وانكر أنه يميز بين البنين والبنات ، حتى لا يحلمهم التمايز على عقوق
الآباء وجفوتهم ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أن ساووا بين أولادكم في العطية
فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء ، وعنه أن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين
أولادكم حتى في القبل .

وينبغي أن يأكل الوالد مع أولاده تأنيساً لهم وقياماً على توجيههم ورعايتهم
وعن سفيان رضي الله عنه : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت
بأكلون جماعة .

هذه التعاليم يدعو الإسلام الآباء أن يأخذوا أبناءهم ، ليسعدوا وتسعد بهم
الامة وهذه السعادة غاية ما تهدف إليه الإسلام .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی
أجر تسليمة

أرسل دُعبل من شعراء القرن الثالث لطاهر بن الحسين هذه الايات .
أياذا اليمين والدعوتين ومن عنده العرف والنائل
أترضى لمثلي فتى أن يقيم بيابك مطرح خامل
رضيت من الود والمائدات من كل ما أمل الآمل
بتسليمة بين خمس وست إذا ضمك المجلس الخافل ؟
وما كنت أَرْضى بهذا من سواك أَرْضى رجل عاقل
وإن ناب شغل فني دون ما تدبره شغل شاغل
عليك السلام فإني امرؤ إذا ضاق بي بلد راحل

ولا ندري بعد ذلك أسمح له بهذه التسليمة أم لا ؟

أم المؤمنين عائشة

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ إبراهيم أبو الحشب

المدرس بكلية الشريعة

لعل من الطريف الذي لا يُمَلِّ ذكروه ، والرائع الذي لا يعتريه السخف ،
مهما تناولته الإعادة ، وأصابه التكرار ، الحديث عن بيت النبوة الميمون ،
وأهله الكرام البررة . وإذا كان الكلام فيما يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم ،
شفاء للقلوب من الصدا ، وجلاء للقرائح من الجهالة ، وذهاباً لما في الصدور من
ضيق وحرَج ... فإن ذكرى من وصلتهم به الأسباب ، وربطتهم وإياه الوشائج ،
ترطب الالسة ، وتثير البصائر ، وتعمر القلوب ، وتذهب وساوس الشياطين .

وأول ما يخطر من هؤلاء في النفس ، وتتحرك له أوتار الحس ، تلك التي
أعطاهما من قلبه من الفراغ ، ومن فكره من العناية ، ومن هواجسه من النزوع ،
ومن وجدانه من الحب ، ما جعله يخشى أن يجور ، وهو الذي يدعو إلى
الصراط المستقيم ، أو يظلم وهو الذي يحارب الظلم والطغيان : اللهم هذا
قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما لا أملك وتملك .

والاخبار الواردة في حبه لعائشة رضي الله عنها من الاستفاضة والشهرة
بحيث لا يختلف فيها أحد ، وما كان من الحرج على فضل الله أن تنساب عاطفة
رجل لزوجه إلى هذا الحد ، أو تتمكن منزلتها من نفسه إلى درجة أن تشغل من
حديثه عنها ، وحنينه إليها هذا المقدار الملحوظ ، فلا يسعها إلا أن تستطيل على
ضرائرها ، وتثير في قلوبهن الغيرة منها ، والحقدها عليها ، والقاق والاضطراب
الذي كان منه ما كان من تنغيص زلزلت له أقدام النبي صلى الله عليه وسلم ،
وغارت عزيمته ، وضعف احتماله ، وهم أن يطلق وهو الذي يعلم الناس أن الطلاق
أبغض الحلال إلى الله سبحانه .

وهي مع ذلك أمثلة واضحة لناحية خفية من نواحي الإعجاز في تلك الشخصية النادرة : إذ استطاعت مع قيام المتاعب ، ووجود المصاعب ، أن تواجه صنوفاً من الآلام ، وألواناً من الأذى ، ثم لم يكن شيء من ذلك كله صارفاً عن الرسالة ، أو لاوياً عناته عن السنن السوى ، وليعلم من لم يكن يعلم أن المرأة التي دل التاريخ وبرهنت الحوادث ، على أنها الثغرة التي يجوز منها الضعف ، ويتطرق الوهن ، ويتهدم بناء الأبطال والعظماء ، لم يطمئن بها خاطره — هداانا الله بهديه — إلا بمقدار لا يساعده على الاستقرار ، أو يعينه على الراحة ، أو يثلج صدره بالهدوء ، والصورة الاستعراضية التي تمر بذهن المتأمل لحياته الزوجية كلها سلسلة متلاحقة الحلقات ، مترابطة الأوصال ، من هذا الطراز وتلك الشاكلة ، وكأنها كانت تربية إلهية أراد له ربه بها أن ينصهر انصهار الجوهر الكريم ، ليصمد للخطوب حين تمتحنه ، وللحوادث إذا أرادت أن تكيد له .

وهكذا كانت حياة الأنبياء والمرسلين ، على أن الذي يلفت النظر في حياة أم المؤمنين عائشة ، أنها مع ما وهبها الله من نضارة وغضارة ، وجمال وروعة ، وسحر وبهاء ، كانت تبادلته صلى الله عليه وسلم حباً بحب ، وإخلاصاً بإخلاص ؛ بل كانت تذهب إلى أكثر من ذلك فتري أن ارتباطها به ، واجتماعها معه ، عناية من الله صادفتها ، ورضى أصابها ، ورحمة شاملة أضفى عليها رداها ، فهي من ذلك كله في جنة تجرى من تحتها الأنهار ، ولما نزل قوله تعالى : يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتكن وأسرحكن سراحاً جيلاً ، وإن كنن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ، كانت هي أول من خطر بباله ، خيرها فقالت : أختار الله ورسوله . وفي الحديث : إن فضل عائشة على النساء ، كفضل الثريد على سائر أنواع الطعام ،

ولعله صلى الله عليه وسلم لم يعترف بهذا الفضل استجابة لعاطفة ، أو نزولاً على إرادة الحب الذي كان يحس به ، ولكنه كان بعد تلك الشهادة من رب الأرباب بطهارتها التي لا يتطرق إليها الشك : ، لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم .

وقد امتازت رضى الله عنها على زوجاته كلهن بالفقه في الدين ، حتى كأنها كانت تنلقى من الوحي ، أو تراحم النبي على جبريل ، وكان في الصحابة مكثرون عرفوا بأنهم توفروا على الرواية ، وانقطعوا للتلقي ، كانت هي أكثرهم ضبطاً ، وأبعدهم عن مواطن الظن والاشتباه ، ولذلك كان من الأئمة من يقدمها على فحول المحدثين من الحفاظ والرواة .

ولست مبالغتها في الحذب على رسول الله والحب له ، راجعة إلى ما كان بين أبيها وبينه من مودة عريقة ووفاء صميم ، فإن عمر كذلك كان في هذا الحب لا يقل عن أبي بكر ، وله من المواقف والمشاهد ما حلى جيد الزمن ، واسترعى عين الدهر ، وكانت ابنته حفصة تسام مع غيرها من الزوجات في الكيد ، حتى لقد ذهب أبوها إلى بيتها يعنفها على ما اقترفت ، ويلومها أشد اللوم جزاء ما أئمت .

على أن عائشة مع كل هذا لم تكن — وحدها — صاحبة الحسن الرائع ، فقد كانت زينب بنت جحش لا تقل عنها وسامة وحسناً ، وجمالاً وروعة . وكان غيرها يزاحمها في هذا الوصف ، ويشاركها في تلك الميزة ، فتعتم علينا بعد أن نفهم أنها رضى الله عنها لم تبادل بالحب حباً ، والوفاء بالوفاء ، إلا حين وجدت من صاحب الخلق العظيم ما حملها على أن ترد الجميل بمثله ، والمعروف بما يضاويه ، وكذلك صنع الله سبحانه على عينه هذه الصورة للحياة الزوجية الصحيحة بين زوج طاهر ، وزوجة كريمة ، ليقول لخلقهم من أبناء آدم ، وبنات حواء : « وتلك الأمثال نضربها للناس » .

عذر جميل

استبطاً الشاعر المشهور أبو تمام الطائي بمدوحه عبد الله بن مالك الخزاعي فكتب إليه أبياتا يستعجله بها ، فبعث إليه بألف درهم وكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا فلا ولو أخرته لم يقلل

نخذ القليل وكن كمن لم يسأل ونكون نحن كأننا لم نفعل

نقول هذا من أبداع الاعتذرات وهو يدل كرم وسمو نفس ، وأبو تمام

جدير بأن يعتذر إليه بمثل هذا لعلو كعبه في الشعر ، وبعد أثره فيه .

وَجَيْلَانِ فِي الْحُجُجِ الْمُنْجِلَةِ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمود أحمد جميلة

المدرس بكلية اللغة العربية

والجهاد مدافعة ومغالبة ، وانتصار للحق ، وتنكب عن الضلال والبهتان ،
وبعد من الضعف والخور ، ومجافاة للجهنم والذلة ، وهو في الذروة من صرح
الإسلام ، وفي السويداء من قلب الإيمان ، وفي القمة من أعمال الأركان ،
والمجاهدون أعلى منازل في الجنة ، وأسمى منازل في الدنيا ، فهم الأعلون في الدنيا
والآخرة ، لا ينال درجاتهم إلا من سعى سعيهم ، وسلك سبيلهم ، فجاهدوا في الله
حق جهاده بالقلب واللسان ، والدعوة والبيان ، والسيف والسنان .

والمجاهدون أرفع الناس ذكراً ، وأعظمهم قدراً ، فهم قوم قد شمروا عن
ساعد جدهم ، وأمسكوا بأعنة أفراسهم ، مستجيبين للدعوة مصدقين للوعد ، مؤثرين
للجنة على ما سواها من نفس ومال ، فتوجهوا للجهاد ، وحبسوا أنفسهم عليه غير
مبالين بما يصيبهم من نصب ، وما يحل بهم من عوج ، حتى يتم النصر ، وتحقق
لهم الحسنى .

وهل الإنسان في الدنيا إلا في منازعات دائمة ، وحروب قائمة ، تكشفه من
كل مكان وتحيط به من كل جانب ، وتدخل إليه من كل باب لا تغيب إلا لتظهر ،
ولا تختبئ إلا لتفتر ، ولا تدبر إلا لتقبل .

فالحياة جهاد متصل الحلقات ، تختلف الألوان ، متعدد الصور ، ترى في
ميدانه نفسك التي بين جنيتك تنازعك وتحالفك ، أو شيطانك الملح في خصوصتك
يرجف بك ويسول لك ، أو حاجديك ومنكريك ، يردون دعوتك ، ويكفرون
حقك ، ويريدونك على الباطل ، ويحبونك نوالا يرفهون به وينعمون .

وهل هناك خلاص من الجهاد ، وفي الأرض حق وباطل ، وظلم وعدل ،
وفضيلة ورذيلة ، وإيمان وكفر ، وتوحيد وشرك ، واستقلال واحتلال .

وليس في استملاء الإنسان أن يتخلص من ظلم البعداء ، إلا إذا تخلص من
ظلم ذوى القرابة والاتصال ، فنفك الأمانة بالسوء ، التي تسكن بين جوانحك ،
وتشملها ذاتك ، تحتاج لمباراة ومنازلة ، ومصارعة ومقاتلة ، حتى تطمئن وترجع
إلى الحق راضية مرضية .

وقتل النفوس غنيف ، لأن النفوس غنيمة بما تزودت به من عدد دونها
الذريات في بطشها وفسكها ، وما الرغبة في استيفاء الحظوظ . وتعلق الإنسان
بالذات والشهوات ، إلا يخالب تنزع النفوس من سلامة الفطر إلى عمارة الغير .
والمجاهد من جاهد نفسه ، فحملها على امتثال الأمر ، واجتناب النهي ،
حتى يسلس قيادها ويؤمن عدوانها ، فيتفرغ منها إلى أعدائه العديدين
وخصومه الملحين .

وكيف يتمكن من خارج عنه وبداخله عدو شديد المراس ، قوى الحيلة ،
قاهر متسلط ، فلا بد من التخلص منه بإخضاع النفس لأحكام الله ، وتخويفها
عذابه ، والتعرض لخطئه ، وتحبيها فيما عنده ، وترغبها فيما أعده للمتقين .

وهل قولة الحق عند أصحاب السطوة ، وكلمة الإنصاف أمام أهل البغي
والعدوان ، إلا من أكمل طرق الجهاد وأشدّها ، فهو مفعلة للحظوظ العاجلة ،
ومعرضة أصحابها لظلم ذوى السلطان ، وبأس ذوى الجبروت .

وإذا ما استقامت النفس بعد المجاهدة ، وأخلصت الدين لله ، فاستمعت الآذان
للدعوة ، وتفتحت القلوب للاستجابة ، وتنبأ للرسول أن تنادي وأن تسمع ، وأن
تصدع بما تؤمر - أمكنها أن تدفع أعداء عكروا صفو الحياة ، ودنسوا صفاء
الوجود ، وأفسدوا في الأرض ، وتناولوا على من رفع السماء فأشركوا به ،
وكفروا بنعمته ، وجعلوا له أنداداً ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه
ونعالى عما يصفون .

وجهاد الكفار صريح سافر ، لا لبس فيه ولا تضليل ، فهو خفيف المؤنة ، سهل المعالجة . أما جهاد المنافق فهو أشق وأعقد ، إذ المنافق يخفى شخصه وراء التواءاته ، ويستر أمره بما يرى أنه من الجميع ، وما هو من الجميع ، إن هو إلا مخادع كذاب ، لا يلبث أن يفضح أمره ، ويهتك ستره ، ويكشف سره بما يبذله خواص الامة في ميسه ، وإظهار زيفه .

أما الشيطان فهو عدو لمن في عداوته ، كره الناس للناس وأحبهم لنفسه أعوانا وخلائفا . وماله بسحابة لا تمطره ، ورحمة لا تشملها ، وجنة لا تقبله ، فهو لا يزال بالإنسان يدور حول حلقته ، ويطوف حول محيطه يأتيه من بين يديه ومن خلفه ومن عن يمينه ، ومن عن شماله ، يثبته عن جهاد نفسه ، وجهاد أعدائه في الله ، ويرجف به ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق ، وترك الحظوظ ، وفوت اللذات والمشتهيات ، حتى يترك نفسه من غير زمام ، ويكون نهبة لأعداء الله في الأرض ، وطعمة لعذاب الله في الآخرة .

فالشيطان يحب أن يجارب بخيل تصد خيله ، وعدد يرد عدده ، فهو عدو أمرنا بعداوته ، وناصح أمرنا باتهامه ومخالفته ، وليس هناك ما يرد كيده ويحبط عمله إلا التمسك بأوامر الحق والتعلق بأهداب الدين .

والجهاد في الله حق جهاده ، كتنقوى الله حق تقائه ، وكما أن حق تقائه أن بطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، فحق جهاده أن يجاهد نفسه فيذن قلبه ، ويصدق لسانه وجوارحه ، ويكون كله لله وبالله ، لا لنفسه ولا بنفسه .

ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ، ومعصيته أمره ، ومخالفه نصحه ، فإنه بعد الفقر ويأمر بالفحشاء ، ويمتنع بالكذب ، وينهى عن النقي ، والهدى والصبر إلى غير ذلك من أخلاق الإيمان ، ومتى تم للمرء ذلك أمكنه أن يجاهد أعداء الله بقلبه ولسانه ، ويده وماله ، لتكون كلمة الله هي العليا .

وحق الجهاد هو استفراغ الطاقة فيه ، وألا يخاف في الله لومة لائم ، فيعبد الله حق عبادته ، ويجاهد نفسه وهواه ، واهداه في الله على قدر ما تحمل طبيعته ، ولا يحصل به جرح في الدين .

وجهاد النفس يحتاج إلى علم بالهمدى وعمل بالعلم ، ودعوة إلى المعرفة ، وصبر على مشاق التحمل ، والتعرض حتى يصير العبد ربّانيا .

وجهاد الهوى يكون بحجود إمرته ، ومخالفة دعوته ، وإنكار ألوهيته ، وجهاد الشيطان يكون بدفع شكوكه وشبهه ، ورد ما يلقي من إرادات وشهوات حتى يوجد الصبر واليقين ، وهما الدعامة في إمامة الدين .

وجهاد الكفار بالنفس والمال والعدد والمُدد، والقوة والإقدام والإخلاص والصبر ، حتى يكون النصر ، أو يقع أجر الله .

وجهاد المنافقين بالكشف والبيان ، والبلاء والتمييز ، فلا تقبل عملاتهم ، ولا تسمع اعتذاراتهم .

وجهاد المبتدعين ، وأرباب المنكرات ، باليد واللسان ، فإن عجزا فالقلب والجنان ، وهو أضعف الإيمان .

والجهاد من شيم النفوس الحرة ، والقلوب المؤمنة التي تريد أن تعيش في ظل الفضيلة والحق في الدنيا والنعم المقيم في الآخرة ، ولا يمكن لأمة ذات رأى في الإصلاح ، أو غرض في النفع والإفادة ، أن تتوانى لحظة عن الجهاد وإلا كانت هدفا للأطباع وعرضة للضياع .

فالجهاد هو الحراسة القوية للبادئ الصحيحة ، والمقائد السليمة ، ورغبنا الله فيه بشق الأساليب ، ودعانا إليه بمختلف الطارق والوسائل ، حتى يسان دستور العدل والفضيلة والأخلاق ، ويبقى للأمة طابعها وتقاليدها ، وعقيدتها ودينها ، وقد أجزل الله عطاء المجاهدين جزاء وفاقا ، لما بذلوه من نفس ونفيس مختارين طائمين ، فأبدلهم الله من الموت حياة ينعمون فيها بما يرزقون ، ويفرحون بها ويستبشرون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

الأدب والأديب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد محمود المسلول
المدرس بكلية اللغة العربية

يدفعني دفعاً قوياً إلى الكتابة في موضوع « الأدب والأديب » ، وإطالة
الوقوف عنده ما أراه شائعاً في البيئات الأدبية من تناقض واضطراب ، ومن تيه
وضلال وما يسيطر على نفوس الشداة والمتعشقين للأدب من خطل الرأي ، وفساد
المذهب ، وظلام السبيل وعقم الدراسة .

فالذين يحبون الأدب أعظم الحب ، ويكلفون بصوره ومذاهبه أشد الكلف ،
ويحاولون أن يأخذوا أنفسهم بدراسته وتعمقه - هؤلاء يعيشون في حياتهم
الأدبية ، وفي أفكارهم وآرائهم تحت رحمة القدر - لا يجدون لهم قدوة يسرون
على هداه ، ويأخذون أنفسهم بطريقته ، ولا يميزون على موجه يرشدهم
إلى الطريق اللاحب والنهج الواضح ؛ إذا ضلوا الصوى وأخطأوا السبيل .

قد يتاح لهم أن يدرسوا ، ويفهموا ويتجوا ويصيروا ما ييغون من هدف ،
وما يؤملون من مقصد ، وأن يبلغوا من الجاه والشهرة وذبوع الصيت مبلغاً
كريمًا ، وقد تقوم أمامهم الصعاب وترسخ العقبات ؛ فتثني همهم وتثبط عزائمهم ،
وتصرفهم صرفاً عنيفاً عما يتطلعون إليه من مجد أدبي وجاء ثقافي ؛ ذلك لأن أولئك
وهؤلاء ليس لهم في حياتهم الأدبية ، ودراساتهم الفنية مناهج محدودة معلومة ،
ولا مذاهب واضحة مرسومة ، ولا سبيل معبد يحنبهم العقبات ، ويقهيم مغبة
السقوط والعتار .

ليس لهؤلاء كما قلت قدوة يحتذون حذوها ، ويسرون على هديها ونهجها ،
ولا يجدون في معتك الحياة ، وزحمة الأفكار بصيصاً من نور ، يضئ لهم الطريق
وينير أمامهم السبيل ، ويفتح المغاليق .

فكل فارس في حلبة الأدب ليس له من هم إلا أن يمضي في سبيله منظوياً على سره ، محتفظاً في أعماقه بما رآه موصلاً لغايته مسدداً لوجهته بحثاً لأهدافه . وأنا أتحدى أديبانا الكبار ، وأسائذة هذا الفن الذين يشار إليهم بالبنان ؛ أن يكونوا قد طالعوا الناشئين بنصح ، أو وجههم إلى هدف ، أو أخذوا بأيديهم إلى غاية ، وتلك فيما أرى خيانة الأدب ، وخذلان للفكر . واحتكار رخيص للفن يوشك أن يودي به ويرديه في أعقق هوة .

ولقد أخذت على نفسي في دراسي الأدبية أن أكشف ما يترامى أمامي من نقص ، وما أبصره من عيب ، وأن أجلى للدارسين والمتأدبين ، ما أعتقد أنه نافع لدراسهم مسدداً لوجهتهم : حتى يتذوقوا جمال أدبنا ويستمرروا حلالاته ، ويأخذوا صورته بالرغبة التي تحسن بناءه وتجلو رواه ، وتجعله في نفوسهم عذب المورد سائغ المذاق .

ولكن قبل كل شيء ما هو الأدب الذي يعيننا ، ومن هو الأديب الذي نعنيه ؟ .

لقد أخذ الناس من قديم يبدئون ويعيدون في تحديد معنى الأدب ، وتوضيح مدلول هذا اللفظ ، ورسم شخصية الأديب ، وبيان السمات والخصائص التي تفرض على الناس الإيمان به ، وتحتم عليهم أن يحبوا إتيانه ، ويتظاهروا لسلطانه ، ويعتبروا لفنه . وأصبح من المؤلف لدى دارس الأدب في كل مدرسة ومعهد ، أن يفتح دراسته بتعريف الأدب ، ودرس تاريخ هذه الكلمة ، وكيف تطورت في استعمالات شتى إلى أن أصبحت ذات دلالة خاصة على ما يؤثر من بارع القول ، ورائع البيان وبلغ الكلام .

بيد أننا في هذه الكلمة لسنا بسبيل الإلمام بتلك الاطوار ، والحديث عن هذه الألوان ، التي صارت أقرب شهاً باصطلاحات العلماء ، وتعريفات المؤلفين ، إنما نريد أن نتحدث عن الأدب الذي يمس الحياة ، ويتصل بها أوثق اتصال ، ويلونها بما هي خليقة به من ألوان ، ويصور ما تحفل به من مظاهر الخير والشر والنعم ، والبؤس والسعادة والشقاء . نريد أن نتحدث عن الأدب كما ينبغي أن يعرفه الناس ، ويفهمه الأديباء والمتقنون : حتى تتضح روعته وتلتهم بهجته التي لا يكدرها تعقيد المناهج وآصار القوانين .

إن الأدب فوق أنه فن نتعشقه ونهواه ونحبه، وتنشأه وتؤثره الطبايع الشفافة، وترتاح له النفوس الصافية — له غايات وأهداف يسير إليها ويعمل لها — أردنا أم لم نرد، طاورنا أم تأبيننا — تلك هي تسجيل صور الحياة وإصلاح مظاهرها، وتخفيف أعبائها والاحتياط على تهوين آلامها، ورسم غلائل براقة خادعة تلبسها المحن، وتنشج بها الأحداث الجاهدة، والمظاهر الشاقة العنيفة، لينخدع بها الحس، ويهون وقعها لدى النفس، وتحتمل صدماتها الآثمة. وذلك عمل الأدب الناضج الذي استوى فنه، واستحصدت مواهبه يقول المرحوم الرافعي: «ففي عمل الأدب تخرج الحقيقة مضافا إليها الفن، ويحيى التعبير مزيدا فيه الجمال، وتمثل الطبيعة الجاهدة خارجة من نفس حية، ويظهر الكلام وفيه رقة حياة القلب، وحرارتها وشعورها ورنها الموسيقي، وتلبس الشهوات الإنسانية شكها المهدب: لتكون بسبب من تقرير المثل الأعلى الذي هو السر في ثورة الخالد من الإنسان على الفاني، والذي هو الغاية الأخيرة من الأدب والفن معا؛ وبذا يهب لك الأدب تلك القوة للعامة، التي تتسع بك حتى تشعر بالذات وأحداثها مارة من خلال نفسك، وتحس الأشياء كأنها انتقلت إلى ذاتك من ذواتها — وذلك سر الأدب العبقري؛ فإنه لا يرى الرأي بالاعتقاب» والاجتهاد؛ كما يراه الناس وإنما يحس به فلا يقع له رأي بالفكر بل يلهمه إلهاما. وليس يواتيه الإلهام إلا من كون الأشياء تمر فيه بمعانيها، تعبده كما تعب السفن النهر فيحس أثرها؛ فيلم ما يلهم، ويحسبه الناس نافذا بفكره من خلال الكون على حين أن حقائق الكون هي النافذة من خلاله.

إذن فالأدب هو فن الإبانة عما في النفس من أحاسيس وانفعالات، وما يجيش في الفؤاد من صور الكون ومظاهر الحياة، وما يمر على المرء من أحداث تهيج شجونه، وتثير لوعته أو توقظ إعجابه وتبعث نشوته.

وحين أقول فن الإبانة إنما أقصد قصدا كلية الفن بكل ما تحمله من معنى؛ حتى تقبل النفوس هذه الإبانة، وتتفتح لها بكل ما فيها من حس وشعور وعاطفة؛ إذ أن كل إنسان يستطيع أن يبين عن حاجته، ويعرب عن رغبته.

فلاخرس لا تعوزه الإشارات ، ولا تستعصى عليه الحركات ، والعي الحصر يستطيع بعد أن يكبد لسانه بالتمنمة ، ويجهد الآذان في التسمع أن يصل إلى ما يريد ، ولمكنها إبانة لا تفعل لها النفس ولا يتأثر بها الحس ، ولا يهش لها الفؤاد ، وأنها لأقرب شها إلى إبانة الحيوان الأعجم عما يساوره من جوع ، أو يفتابه من عطش .

ومثل ذلك إبانة بعض الاناسى عن معان تطوى عليها نفوسهم ، وتحاول أن تصوغها ألسنتهم : فإذا هى لا تطاوعها إلا الألفاظ الخشنة المتعثرة ، والأساليب العاجزة الملتوية التى لم تستطع أن تجمع شمل المعانى ، ولا أن تنظم شتات الأفكار فى سمط ،

أيمكن أن تؤثر هذه الإبانة فى نفس ، أو تثير إعجاباً أو تستدر عاطفة ؟ كلا . لقد يرى الإنسان طفلاً ربما صاحبه خفة الروح ، ولطف الشكل ، وجاذبية القسما ، وحلاوة السمات ، ولكنه ينشع بثياب قدرة غير مهذبة ولا مرتبة ؛ فتعانه نفسه ويجفوه لأول وهلة ذوقه ؛ فإذا ما أخذ سمياً جميلاً لا تجفوه الأناقة ، ووضعاً مهذباً لا يذبو به الذوق يلقاه المرء لقاءً مرحاً تهش له النفس ، ويرتاح الفؤاد ؛ كذلك شأن البيان كلما ألبسه المرء حلة من الجمال قضى عليه حسن الرونق ، وخلابة البريق ، وكلما سوى من خلقه وأبدع فى نظمه ، وصقل من حواشيه ، وهذب من أطرافه ، كان أدعى إلى القبول وأحرى بالاستجابة ، وأخلق بأن تنفتح له منافذ النفس ، فتلقاه مؤنسة به مبهجة له أشد ابتهاج .

يقول الأستاذ أحمد أمين بك وهو يفرق بين العلم والادب : « أكبر ظاهرة فى التفريق بين العلم والادب أن الادب يخاطب العاطفة ، والعلم يخاطب العقل ؛ فالكلام إذا لم يثر عاطفة لم يكن أدباً ، وإذا أمدن فى إثارة العاطفة كان أمدن فى الادب . .

من هذا ترى أن صور الادب البارعة . وأخيلته اللامعة ، وطرائفه الفريدة خليفة أن تضفى على النفس روحانية وصفوا ، جدرة أن تخلق فيها شقى الاحاسيس ، وتثير له بها ألواناً من الانفعالات ، وتجعلها تجيش بالمعاني وتحفل بالصور الحية البارعة .

صحابي من أدركهم أبو حنيفة

أنس بن مالك

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ منصور رجب
المدرس بكلية أصول الدين

يقول ابن خلدون : وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . وهم :

(١) أنس بن مالك (٢) عبد الله بن أبي أوفى (٣) سهل بن سعد الساعدي (٤) أبو الطفيل عامر بن وائلة :

ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه ، وأصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت عند أهل النقل ، وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك رضى الله عنه ،

وأنس بن مالك من الصحابة اثنان : أنس بن مالك أبو أمية ، وأنس بن مالك أبو حنزة الانصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم نعين المصادر التي رجعنا إليها . أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، ، والاستيعاب لابن عبد البر القرطبي ، سنة وفاة أبي أمية حتى نعرف هل يمكن أن يكون قد أدركه أو لا ؟ .

وابن الجوزي في كتابه ، المدهش ، يسمى من تأخر موته من الصحابة يقول : آخر من مات من أهل العقبة : جابر بن عبد الله بن عمر ، ومن أهل بدر : أبو اليسر ، ومن المهاجرين سعد بن أبي وقاص ، وهو آخر العشرة موتا ، وآخر من مات بمكة من الصحابة : ابن عمر ، وبالمدينة : سهل بن سعد بن معاذ ، وبالكوفة : عبد الله بن أبي أوفى ، وبالبصرة : أنس بن مالك ، وبمصر : عبد الله بن الحارث

ابن جزء ، وبالشام عبد الله بن يسر ، وبخراسان : بريدة ؛ وآخر الناظرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا : أبو الطفيل عامر بن وائلة .

وإذا قلنا إنه توفي سنة تسعين سنة قيل إحدى وتسعين ، وقيل اثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين على ما رواه ابن الأثير في أسد الغابة وعرفنا أن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين من هجرة سيد المرسلين يكون قد أدركه وهو ابن عشر سنين .

وروى الزهري عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين سنة ، ويحدثنا أيضاً عن نفسه يقول : أخذت أمي أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية الخزرجية بيدي ، فأنت بي رسول الله فقالت : يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب . قال : نخدمته تسع سنين فما قال لي شيء قط صنعته : أسأت أو بدت ما صنعت .

وأم سليم هذه روى عنها ابنها وروى عنه ، وكانت من عقلاء النساء . ومن اللاتي هن أثر يذكر في تاريخ التشريع الإسلامي ، وفي الفزوات . فكانت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي التي جعلت الإسلام صداقاً تمهر به الزوجة ، فلما توفي عنها مالك بن النضر والد أنس هذا تقدم إلى خطبتها أبو طلحة الأنصاري وكان مشركاً فقالت له : أما إني فيك لراغبة ، وما مثلك يرد ولكنك كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فلك مهري ، ولا أسألك غيره ، فأسلم فقالت : يا أنس زوج طلحة فتزوجها .

وكان ابنها أنس غلاماً مذاباً أي له ذوا به فأراد أن يحزمها فنهته أمه وقالت : كان النبي يمدّها ويأخذ بها . وداعبه النبي فقال له : يا ذا الأذنين . وروى عن قتادة : يحدث عن أنس عن أمه أم سليم قالت : يا رسول أنس خادمك ادع الله له فقال : اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة . ويقول هو عن نفسه : قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة . فقد كان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين ، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك ، وقصر بالطف ، ومات وله من ولده وولد ولده مائة وهشرون ولداً : وقيل مائة . وروى ابن الجوزي من المعجائب أربعة أنفس رزق كل واحد منهم مائة ولد : أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر الليثي ، وخليفة السمدي ، وجعفر بن سليمان الهاشمي ، وكان يحب التجميل فقد كان نقش خاتمه صورة أسد رابض ، وكان يشد أسنانه بالذهب ، ويلبس الخنز ويتعمم به .

وكان من أبطال الرياضة البدنية، حُببت إليه لعبة الرمي، فكان فيما أحد الرماة المصبيين، وكان يحبها إلى أولاد فتارة يرمون بين يديه، وتارة ينزل معهم في اللعب، فيغلبهم بكثرة إصابته. ولعبة الرمي هذه من الألعاب التي كان النبي يشجعها ويشترك فيها، فيروى البخاري أن رسول الله مر على نفر من بني أسلم ينتضلون - أي يترامون بالقسي للسبق والنضال - فأقبل عليهم قائلاً: أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، أرموا وأنا مع بني فلان، فأمسك الفريق الآخر عن الرمي فقال لهم مالكم لا ترمون؟ فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم يا رسول الله؟ فقال أرموا أنا معكم كلكم.

وبهذه المناسبة أقول: إن رسول الله كان يحب الرياضة البدنية، ويشجع عليها فيروى البخاري أيضاً أنه كان يسابق بين الخيل بل بلغ من عنايته بهذا النوع من الرياضة أن وضع له نظاماً، لجعل له أمداً معلوماً. وأن تكون الخيل فيه متصارية الاحوال فأرسل الخيل المضمره - أي المجوعة - أرسلها من الحفياء إلى ثنيه الوداع على مسافة ستة أميال تقريباً، وأرسل التي لم تضمر من ثنيه الوداع إلى مسجد بني زريق وأمدها ميل أو نحوه.

وإذا كان يشبه في أنس بن مالك من الصحابة اثنان فيشته به في اسم أنس وحده كثيرون. ومثل هذه الاسماء المشتبهة إذا لم يصرح في الحديث ببيانها لم يفرق بينها إلا الناقد الثبت، وفي الفرق بينها فائدة عظيمة، وهي أن بعض الرواة ثقة ومشبه في الاسم يكون ضعيفاً فيطلب الفرق لذلك.

فتلا رويت أحاديث عن أنس ولم يبين الراوي في روايته من أنس هذا؟ من ذلك حديث رواه ابن الجوزي مثلاً في كتابه - المدهش - قال: روى أبو قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن الحامل والمرضع الصيام، ثم قال أنس هذا هو ابن مالك القشيري - اختلاف في نسبة أنس بن مالك أبو أمية هل هو قشيري أو كعبى - وكنية أنس بن مالك خادم رسول الله أبو حمزة والنبي هو الذي كناه بقله يجتنبها - الحمزة الأسد وبقله - وسمى على اسم عمه أنس بن النضر بن ضمضم وعمه هذا قتل يوم أحد شهيداً. يروى عن أنس قال: غاب عمي عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، ووالله لئن أشهدني

الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أعتذر إليك عما صنع هؤلاء يعني المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ . فقال : أي سعد هذه الجنة ورب أنس أجد ريحها دون أحد . قال سعد بن معاذ : فما استطعت ما صنع فقاتل . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بمهم . ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفته أخاه الربيع إلا بيناته . وقال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية --- رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه --- نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين .

وإذا كان أنس قد سمي باسم عمه فأخته الربيع قد سميت أيضاً على اسم عمته . وهذه العمه هي التي كسرت ثنية جارية من الانصار ، فذهب قومها إلى رسول الله يطلبون القصاص ، فأمر النبي به فقام أخوها أنس بن النضر فقال : لا . والله لا تكسر ثنيها يا رسول الله ، فقال النبي : كتاب الله القصاص ، فرضى القوم وقبلوا الارش . فقال النبي : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره .

وأنس بن مالك هذا لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه بعث إليه ليوجهه إلى البحرين على السعاية ، فدخل عليه عمر فاستشاره فقال عمر : ابعثه فإنه لبيب كاتب ، فبعثه ، وسئل أنس . أشهدت بدرأ مع رسول الله ؟ فقال للسائل : لا أم لك وأين غبت عن بدر ؟ ويقول العقلاء في الإصابة ولم يذكر في البدرين لأنه لم يكن في سن من يقاتل ، وكانت إقامته بعد النبي بالمدينة ثم شهد الفتوح ، ثم قطن البصرة ومات بها في قصره بالظف وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة ودفن على بعد فرسخين منها ، وروى أنه كان عنده عصبة لرسول الله فلما مات أمر أن تدفن معه فدفنت معه بين جنبيه وقيصه .

ذلك هو أنس بن مالك أبو حمزة الانصاري ، خادم رسول الله صلوات الله عليه مد الله في عمره حتى أدركه أبو حنيفة النعمان رضي الله عنهما ، أرأيت صحبته لرسول الله وخدمته وامثالها لأمر أمه حتى تولى تزويجها هو لابي طلحة بعد موت أبيه ؟ إنه مثل أعلى في تقاينه لخدمة الحق كان مؤمناً مخلصاً ، وغنياً متجعلاً . وبطلاً رياضياً عظيماً . وبهذا السلوك الحكيم ساد المسلمون .

موازنات أدبية :

شاعران بيتاوان البخارة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

أما الأول : فشاعر بدوى أكسبته بلاد الشام الجميلة التي تجلو مناظرها العين،
وتضحد ذهنه ، وتفسح الخيال ، رقة في اللفظ وإشراقاً في الديباجة ، وسمواً في
الخيال ، هو البحرى الشاعر الشرقى .

وأما الثانى : فصادح الأندلس وغريد أيكما الرطيب ، هو ابن زيدون
شاعر المغرب ، وبين الشعارين نسب يعرفه الأدباء من قديم ، فقد قالوا : إن
ابن زيدون بحرئى المغرب ، ولعلمهم يرجعون هذه الوشيجة إلى ما لوحظ من
اتفاقهما فى الصنعة الشعرية ، من حيث إشراق الديباجة ووضوح المعنى ،
فكلاهما رائع النظم ساحر الأداء ، وكلاهما شاعر فى قبل أن يكون حكيماً
أو فيلسوفاً ، أو غواصاً على المعانى ، فلفظهما كثير الماء والرواق ، تشيع فيه
الموسيقى والصنعة المستلحة ، وينهى له كل ما يمكن من وسائل فن الصوت ؛
ويتفق الشاعران كذلك فى كثرة الغزل وتخير أوزانه ، ووضوح فكرة الحب
بلا فلسفة أو تعمق ، كما يتفقان كذلك فى كثير من المعانى والصور الشعرية .

ولإذا كان البحرى قد اتصل بأبى تمام وعرف منه المناهج الجديدة ، فإنه
لم يستطع أن يجاريه فيها لغرابتها على حسه وطبعه ، فوقف تأثره به عند الجوانب
الظاهرة التي لا يجللها غموض ، ولا يكتنفها تعقيد .

ومهما يكن من أمر هذه التسمية التي خلعاها الأدباء على ابن زيدون ، وسواء
أكان سببها تأثره بالبحرئى وتقليده له ، أم تجاوب فنه مع فن البحرئى ، وتوافق

طبيعتيهما ، فليس يعنينا الآن أن نحقق ذلك أو نبين إلى أى مدى يمكن أن تصدق هذه التسمية ، وخلاصة القول في ذلك أنها صادقة إلى حد ما ، وأن لكل من الشاهرين شخصيته وخصائصه وسماته بالرغم من هذا الشبه القوي .

إنما نريد أن نعرض صورتين من هذه الصور التي اشترك فيها الشاعران ، ميزين ملاحظهما ، موضحين وجوه الشبه بينهما ، موازين بين كل منهما .

فالصورة الأولى تهنته بالعيد تقدم بها كل منهما إلى مدوحه ، وصوِّره فيها عزَّ الملك ، وقوة الجيش ، وبسطة السلطان ، وجلال الملك في مصلى العيد . قال البحثري :

فأنعم بيوم الفطر عينا إنه	يوم أغر من الزمان مشهراً
أظهرت عزَّ الملك فيه بجحفل	لجب يحاط الدين فيه ويُنصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت	عددا يسير بها العديد إلا أكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى	والبيض تلعب والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بتقلها	والجو معتكر الجوانب أغبر
حتى طلعت بنور وجهك فانبجست	تلك الدجى وانجابت ذاك العثير
وافتن فيك الناظرين فأصبغ	يومى إليك بها وعين تنظر
حتى انتهيت إلى المصلى لابساً	نور الهدى يبدو عليك ويظهر

وقال ابن زيدون :

وبشراك عيد بالسرور مظلل	وبالحظ في نيل المنى متكئف
تجرد فيه سيف دولتك الذى	دما العدا دأبافغريه 'نظلف' (١)
غدا بخميس يقسم الغيم أنه	لاحفل منها مكفها وأكشف
هو الغيم من رزق الاسنة برقه	وللطيل رعد في نواحيه يقصف
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة	يفاديه منا ناظر أو منظر (٢)
فإذ نحن طالعناه والافق لابس	عجاجته والارض بالخيال ترجف
رأيتك في أعلى المصلى كأنما	تطلع من محراب داود يوسف

البيت الاول عند ابن زيدون أحفل بالتهنئة وأجمع لبشريات العيد ، ذلك العيد الذى يطالع الممدوح بالخط الوافى والامانى المرموقة ، وهو دون ذلك عند البحترى . وكذلك وصف الجيش تجد فيه عند ابن زيدون روعة لا تجدها عند البحترى ، روعة شعرية تهز قلبك وتزلزل جوانب نفسك ، حتى لتمسك جنديك حذارا وفرقا من عجاجة الافق بغم الجيش ، ورجفة الأرض بخيل الفرسان ، وخطف الابصار ببرق الاسنة ، وصم الآذان برعد الطبول . وأين قول البحترى :
 « والأرض خاشعة تميد بثقلها . . . » ، من قول ابن زيدون ، والافق لابس عجاجته والأرض بالخيال ترجف ، ؟ وأين قوله : « حتى انتهيت إلى المصلى . . . » ، من قول ابن زيدون :

رأيتك فى أعلى المصلى كأنما تطلع من محراب داود يوسف
 إنها لروعة أخاذة ليس إلى وصفها من سبيل : وهكذا يتفوق ابن زيدون فى هذه الصورة ويفوز على صاحبه .
 أما الصورة الثانية فوقف من مواقف الهيبة ، هيبة الملوك ، ومشهد من مشاهد الجلال الذى يعتاق جنان الشعراء فى حضرتهم . قال البحترى :

ولما حضرنا سدة الأذن أتخرت	رجال عن الباب الذى أنا داخله
فأفضيت من قرب إلى ذى مهابة	أقابل بدر التم حين أقابله
وسلمت فاعتاقت جناي هيبة	تنازعنى القول الذى أنا قائله
فلما تأملنا الطلاقة وانثنى	إلى يبشر آنستنى مخايله
دنوت فقبلت الندى فى يد امرئ	كريم يحيا سباط أنامله

وقال ابن زيدون :

ولما حضرنا الإذن والدهر خادم	أشير فيمضى والقضاء مصرف
وصلنا فقبلنا الندى منك فى يد	بها يتلف المال الجسم ويخاف

أى الشاعرين وفق فى تصوير الهيبة وبرع فى وصف الموقف ؟ أما أنا فأشهد للبحترى بالسبق ، واعترف له ببراعة التصوير ودقة الوصف . فى قوله : « ولما حضرنا سدة الأذن » ، من الروعة الشعرية ما ليس فى قول ابن زيدون : « ولما

حضرنا الإذن ، وسر الجمال والروعة في كلمة سدة ، ، وفي قوله : ، أخرت رجال عن الباب الذى أنا داخله ، لفئة بحترية لازدحام باب الممدوح بالرجال ، ومحافظة الحجاب على النظام ، فلا يدخلون أحدا بغير إذن . وقوله : ، فأفضيت من قرب . . . ، أروع في تصوير الهيبة من قول ابن زيدون : ، وصلنا ، فالبحتري في غمرة الجلال والهيبة يفضى إلى ذى المهابة ، ولا يدرى كيف وصل إليه . وابن زيدون يصور لك قوة الممدوح وعظمته ونفاذ أوامره ، وبسطة سلطانه ، حتى كأن الدهر خادم والقضاء بصرف ما يشير به ، وهو تصوير رائع . ولكن أروع منه هذا التصوير الذى صور به البحتري للهيبة ، فجعلنا نحسها ونستشعرها ونلمسها لمساً ، تلك هي الهيبة التى تعتاق جنان شاعر كبير كالبحتري وتنازعه القول ، وتفحم لسانه ، وتنسيه ما يريد أن يقول ، فهو مأخوذ مبهور ، لا يزيد على السلام ثم ينقصد لسانه ، فلا يسعفه إلا طلاقة الممدوح وبشاشته ، وتهال أساربره ونضارة جبينه ، وإشراق محياه . وحينئذ يدنو منه فيقبل الندى في يمينه ، يمين هذا الرجل الكريم المحيا ، السبط الأنامل .

ألمست ترى أن البحتري قد صور الهيبة بأروع صورها ، وجمع لها كل ما يمكن من عناصر الفن والجمال ، وجمالها بكل ما يمكن من الألوان والظلال ؟ وأخيراً فالندى كل الندى في يد ممدوحه ، وليس هو بالندى الخاص الذى في يد ممدوح ابن زيدون ، فقوله ، فقبلنا الندى فى يد امرئ ، أبلغ وأروع من قول ابن زيدون ، فقبلنا الندى منك فى يد ، حيث بينه بمن البيانة . وهكذا يسترد البحتري الجائزة من ابن زيدون ويفوز بها مضاعفة ، وبألها من جائزة ترفع البحتري إلى ذروة الفن ، وتنتهى به إلى أمد الخصل ، فى هذا الوصف الرائع الجميل .

الرأى والظن

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : ، إنك لا تنتفع بعقل الرجل حتى تنتفع بظنه ، . وقد هرب عن هذا المعنى أوس بن حجر فقال :

الأمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع
وقال بلعام بن قيس .

وأبنى صواب الرأى أعلم أنه إذا طاش ظن المرء طاشت مقاديره

الشرط في الفقه الإسلامي

بالنسبة للالتزامات

لحضرة الاستاذ صالح بسكير

الاستاذ بكلية أصول الدين

الشرط هو تعليق الالتزام على أمر محتمل الوقوع في المستقبل ، وهو لا ينشئ الالتزام فوراً وإنما يؤخره إلى وقت تحقق الشرط ؛ فتنشأ الالتزامات ووجد أو سقط أو زال إن كان الالتزام قائماً معلقاً زواله على تحقق شرط .
ومثل ذلك أن يقول شخص لآخر إن نبت دينك على فلان فإني كفيل به فإنه إذا نبت الدين نبت التزام الكفالة .

وكان يقول شخص لآخر إن جاء فلان من الحج سالماً فقد أبرأتك بحالي عليك . فجاء فلان هذا من الحج سالماً ، فإن الدين يسقط . وإذن فالشرط نوعان توقيفي كما في المثال الأول وفاسخ كما في الثاني .

والشريعة الإسلامية لا تضيح حياتها على جميع الشروط التي تلحق الالتزام فنهى ما تمنعه ومنها ما تجيزه ، ويترتب على المنع إما بطلان أو فساد الالتزام ، وإما اعتبار الشرط لاغياً وكأنه لم يكن ، وهذا يطابق ما في القوانين الوضعية من عدم وجوب مخالفة الشرط للقانون أو الأخلاق الفاضلة أو النظام العام .

والمتبع لأقوال الفقهاء يتبين له أنهم قد اختلفوا في ضابط الشروط السائغة وغير السائغة . وفي ذلك ثلاثة مذاهب :

١ — المذهب الأول : بقرر أن كل شرط يخالف الشرع أو يزيد على مقتضى العقد أو الالتزام ولم يرد به أثر من الشرع فهو لا تقره الشريعة الإسلامية ، وهذا هو مذهب أكثر فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية ؛ وذلك كما إذا اشترطت

المرأة في عقد زواجها بأن لا يتزوج الزوج عليها بأخرى ، فإن مثل هذا الشرط لا يقتضيه عقد الزواج ؛ بل هو زائد عليه وإذن فلا يكون له محل اعتبار . وهذا هو معنى المخالفة للنظام العام ؛ إذ من النظام العام في الإسلام عدم تحريم ومنع ما أحله الشرع .

٢ — المذهب الثانى : يقدر أن كل شرط لم يتم من الشرع دليل على النهى عنه ، أو على عدم اعتباره يكون ملزماً يجب الوفاء به ، وهذا المذهب يوافق أصول كثير من الحنابلة ، فأجازوا الشرط السابق في المثال السابق .

٣ — المذهب الثالث : لا يعترف الشرط جائزاً إلا إذا ورد نص بإثباته ؛ وقام الدليل على وجوب الوفاء به وهذا مذهب الظاهرية .

ويتضح إذن من هذا أن مذهبي الحنابلة والظاهرية على طرفي تميز ، إذ الأول قد أفسح المجال لجميع الشروط التي لم يرد نص شرعى بالنهى عنها ، أو التي لا تخالف القواعد الشرعية ، بينما أن الثانى لا يجيز الشرط مطلقاً إلا إذا ورد به نص شرعى .

ويتضح أيضاً أن مذهب جمهور فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية وسط بين المذهبين السابقين ؛ فإلهم يقسمون الشروط مع مشروطاتها إلى ثلاثة أقسام .

١ — إن كان الشرط مكملًا لحكمة المشروط كاشتراط الإمساك بالمعروف ، أو التسريح بإحسان في النكاح ، فهذا الشرط صحيح شرعاً ؛ إذ أنه مكمل لحكمة النكاح وملائم لمقصوده .

٢ — وإن كان الشرط غير ملائم لمقصود العقد كاشتراط عدم الإنفاق في النكاح فهذا الشرط باطل لعدم ملائمته للعقد .

٣ — أن لا تظهر في الشرط منافاة أو عدم ملائمة وفي هذا تجب التفرقة بين العبادات والمعاملات لاعتبار الشرط صحيحاً أو باطلاً .

فما كان من العبادات لا يكتفى فيها بعدم المنافاة لاعتبار الشرط ، بل تجب أيضاً الملائمة ، وما كان من المعاملات أو العاديات فيكتفى فيها بعدم المنافاة لاعتبار الشرط .

وهذه أصول عامة وإن اختلف الأحناف والشافعية والمالكية في التفاصيل .
فيرى الأحناف تقسيم الشروط إلى صحيحة وباطلة وفاسدة . وهذا التقسيم
يستند إلى الأسس الآتية :

- (أ) كون الشرط موافقاً لمقتضى العقد .
- (ب) كونه مندرجاً تحت العمومات الشرعية .
- (ج) ورود نص به أو عدم وروده .
- (د) إقرار العرف أو عدم إقراره في حالة زيادته على مقتضى العقد .
- (هـ) تأثيره في العقد بتحقيق فائدة لأحد أو عدم ذلك .

وعلى هذا فالشرط الصحيح هو الذى يكون موافقاً لمقتضى العقد ، كتمسليم
الثنى قبل تسليم المبيع ، أو يكون مؤكداً لمقتضاه كاشتراط تقديم كفيل معين
بالثنى المؤجل ، أو أن يكون قد ورد به نص من الشارع كاشتراطه خيار الشرط
لمدة معلومة ، فإن هذا الشرط غير موافق لمقتضى العقد ، وغير مؤكد لمقتضاه
أيضاً وإنما ورد به أثر من الشارع . وكذلك يعتبر الشرط إذا جرى به عرف
لكن بشرط عدم مخالفته لنص أو أثر شرعى .

الشرط الفاسد : هو ما كان غير موافق لمقتضى العقد ولا مؤكداً له ، ولم
يرد به أثر من الشارع ، ولا جرى به عرف وفيه منفعة لشخص ، فإن اقتران مثل
هذا الشرط بعقود المعاوضات يفسدها ، أو أنه يعتبر لاغياً ولا يبق العقد صحيحاً .

الشرط الباطل : هو ما ليس موافقاً لمقتضى العقد ولا مؤكداً ، ولم يرد به
أثر ولم يجر به عرف ، وليس فيه نفع لأحد العاقدين ولا لغيرهما من هو من
أهل الانتفاع ، كمن يبيع سيارة بشرط أن لا يستعملها إلا في أحوال خاصة ،
فهذا الشرط باطل ، ولا يؤثر في العقد بطلان أو فساد ، فيلغو الشرط ويصح
العقد ، سواء أكان العقد عقد معاوضة أو كان غير معاوضة .

هذا تقسيم الأحناف ، وأما المالكية : فإنهم يرون أن كل شرط لا يتفق
مع ما يشترطونه لصحة العقد الذى اقترن به يكون مفسداً للعقد : لأن العقد

لم يستوف حينئذ شروط صحته ، فلم تثبت حقيقته الشرعية ، كما أن كل شرط يؤدي إلى الضرر أو الجهالة يكون مفسداً للعقد إذا تمسك به صاحبه ، فإن لم يتمسك به لغى الشرط وصح العقد . وأما الشافعية : فيتلاقون في التقسيم مع الأحناف ، إذ الشرط الذي يقتضيه مطلق العقد يكون صحيحاً ، والذي لا يقتضيه العقد وفيه مصلحة للعقد نفسه ، كشرط الرهن بالثمن المؤجل فهو صحيح أيضاً ، يجب الوفاء به . وأما الشرط الذي ليس فيه مصلحة للعقد ويورث غرراً يؤدي إلى التنازع ، كشرط قرض مع بيع ، فثل هذا الشرط يفسد العقد ، والشرط الذي ليس فيه نفع لأحد يعتبر شرطاً لاغياً والعقد يكون صحيحاً غير فاسد .

وأما مذهب الحنابلة : فهو أوسع المذاهب وأيسرها ، لأن أكثرهم يوجبون الوفاء بالشرط طالما لم يقيم دليل شرعي على عدم صحته .

آثار الشروط :

العقد المقترون بالشرط الصحيح لا ينشئ ولا ينتج آثاره إلا إذا تحقق الشرط ، لأن العقد المعلق لا ينعقد سبباً لأحكامه إلا بعد وجود الأمر الذي رُتب وجوده عليه ، فهو سبب أسمى لأحكامه وليس سبباً فعلياً ، لأن تأثيره في إثبات الأحكام لا يكون إلا بعد وجود الشرط المعلق عليه . وهذا هو مذهب المالكية والحنفية . وأما الشافعية فعندهم أن العقد ينعقد سبباً في الحال كالعقد المضاف .

ويلاحظ أن العقود من حيث تعليقها تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

- ١ - عقود لا تقبل التعليق مطلقاً ، وهي العقود التي تفيد التملك سواء كانت عقود معاوضة أو عقود تبرع ، وبلا فرق بين تملك المنفعة أو تملك الرقبة .
- ٢ - عقود تقبل التعليق بالشرط الملائم كعقود الحوالة والكفالة ، والإطلاقات
- ٣ - عقود يصح تعليقها بكل شرط ملائم أو غير ملائم ، متعارف أو غير متعارف كعقود الوصية والإبضاء والوكالة .

هذه هي الأقسام الثلاثة لأنواع العقود من حيث تعليقها بالشرط ، ويتضح منها أن الفكرة العامة في الشرع والقانون ، هي أن الشرط لا يلحق العقد إلا إذا كان موافقاً للشرع أو القانون ، وأن العقد أو الإلزام لا ينشأ إلا من وقت تحقق الشرط .

الانغضب

حديث شريف

لفضية الاستاذ الجليل الشيخ صادق خطاب

المدرس بكلية اللغة العربية

في الإنسان دوافع خير تصارعها نوازع شر، وعوامل صلاح تجاذبها بواعث فساد، فيه قوة تدفعه إلى الخير من طريق صعب المسلك، كثير المشاق جم العقبات ولكنه مأمون العاقبة، وفيه نزوة تغريه بالإثم وتزين له السوء من سبيل خلاب جذاب، خادع المنظر فتان المظهر، حافل بالمشتبهات والمغريات، ولكنه أليم في نهايته مهلك في آخرته... فإذا غلبت فيه دعوة الحق على صيحة الباطل، وعالت صولة الخير على نزوة الشر، وسطح في فؤاده نور الهداية فمحا ظلمة الفساد، فقد تهيأت له قوة الإيمان وصدق اليقين ومكارم الأخلاق وسماحة الدين، وإذا ضعفت مقاومته للشهوات ولانت منافعته للآثام والمنكرات، وتمكنت من نفسه وساوس الشيطان، وأسباب الخسران، كان سبة لدينه وعارا لوطنه، وعضوا فاسدا في جسم الأمة التي يعيش فيها.

من أقبح العيوب وأبشع المنكرات التي تحكمت في نفوس الناس، وتمكنت من مجتمعاتهم، وكان لها أسوأ الأثر في حياتهم، وتشويه علاقتهم وتمزيق روابطهم، وإشاعة فرقتهم وتوهين كلمتهم، طغيان الغضب وتحكمه في أخلاق الإنسان ومعاملته، فليست هناك علاقة بين صديقين ولا مودة بين أخوين، ولا تعاون على عمل من الأعمال، ولا اشتراك في مظهر من المظاهر إلا وقد دخل فيه الغضب بأسوأ أوزاره وأقبح آثاره.

غريزة من الغرائز الطبيعية، ركبها الله في نفس الإنسان، ليصون بها عرضه ويحمي بها نفسه، ويحفظ حرمة ويدود عن حماه فتسكب بها طريقها، وحادها عن صراطها واستعملها في هوى النفس، وسخرها لطغيان العاطفة؛ لذلك عد الإسلام

بجاهدتها وامتلاك النفس عندها من أمارات البطولة ، وعلامات الشجاعة فقال الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » ، وكان الإمام الغزالي رحمة الله يقول : « إن الإنسان ينزع منه عسرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال : « خلقتني من نار وخلقته من طين ، فالغضب دائماً يخرج صاحبه عن حده ويبعده عن وقاره ، وينسيه إنسانيته ويقربه من الوحوش الكاسرة ، ويجعله يستحل كل حرمة ويستبيح كل صلاح . فهو حرب كل مودة ونذير الفرقة لكل صلة . يقول ابن عمر : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرقى بعمل وأقل ، لعل أعقله فقال : لا تغضب . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا ينقذني من غضب الله قال : لا تغضب . ويشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن الغضب يدفع صاحبه إلى الهاوية ويرديه في الشقاء بقوله : « ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم » ، وقال له رجل : يا رسول الله أى شيء أشد ؟ قال : غضب الله قال : فما يبعدني من غضب الله ؟ قال : لا تغضب . فهذه كلها آثار ناطقة ، ودلائل قاطعة وبراهين مجمعة على خطر الغضب وقبح شأنه وأنه يجر الإنسان إلى الهاوية ، ويدفعه دفعاً قوياً إلى الهلاك ، إذ يطفى على عقله ويظلم فكره ويذهب لونه ووداعته وبشاشته .

إن نظرة واحدة إلى ما يعانيه المجتمع من آفات ، وما يشيع في أجوائه من عيوب ، وما يكاد يقضى على بهجته ورونقه من أمراض خلقية تجعل الإنسان يؤمن من أعماقه أن أقسى هذه الآفات ، وأهق تلك المنكرات الغضب . فنحن لغضب فلا نتذكر خالقاً ولا نعرف فضيلة ولا نقف عند حد ولا نخشى عاقبة . لأقل حادث وأهون سبب ننظر فإذا الغضب يهيج في النفوس ، وإذا انشر يلعب ، بالرموس وإذا الوقار قد خف ، والحلم قد ضاعت آثاره ، وإذا ما كان يتحلى به المرء من سكينة وادعة قد زال ولم يبق من مظاهره شيء .

نحب فنفرط في المحبة حتى نحيل السيئات كلها إلى حسنات ، وننوم العورات ، فضائل ومميزات ، فإذا غضبنا أصبحت المحاسن مخازى وفضائح ، وانقلب التسيحات إلى لعنات ، ولم ندع أدباً إلا مزقناه ، ولا عرضاً إلا هتكناه ، ولا لحماً

بشرى إلا أكلناه منتناً متعفنًا؛ تلك ليست صفات المؤمنين . إنما هي سمات المنافقين .
 إذ أن من علامات المنافق أنه إذا خاصم فجر ، ورسولنا الكريم يعلننا آداب
 الاجتماع ، وشروط الصحبة بقوله : « أحب حبيبك هو ما عسى أن يكون
 بغيضك يوم ما ، وابغض بغيضك هو ما عسى أن يكون حبيبك يوم ما ،
 أما الاستسلام لشيطان الغضب ، والاندفاع وراء النفس الأمارة بالسوء فلا
 يكسب صاحبه إلا لعنة الله وغضب المجتمع ولقد صدق من قال : « إني والله
 ما رأيت شيئاً أذهب للدين ، ولا أنقص للبرة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب
 من الخصومة . »

هذه آداب الاسلام ، وسياسة رسول الإسلام ، لا نلصق بها إلا كل
 ما يبعث السعادة ويثير الانشراح والسرور ، ويذهب الاحقاد والاضغان من
 الصدور ، ويجعل الانسان يعيش في دنياه مرح النفس هادى البال مطمئن الضمير .
 روى أبو هريرة : أن أبا بكر كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مجلس ، فجاء
 رجل فوقع في أبي بكر وهو ساكت ، والرسول صلى الله عليه وسلم يتنسم ،
 ثم رد عليه أبو بكر بعض الذى قال ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام من
 المجلس ، فلحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله شتمنى وأنت تنسم ، ثم رددت عليه
 بعض الذى قال فغضبت وقت . فقال صلى الله عليه وسلم : حين كنت ساكتا
 كان ملك يرد عليه ، فلما تكلمت وقع الشيطان ولم أكن لأجلس في مجلس فيه
 الشيطان . ثم قال : يا أبا بكر ثلاثة حق إنه ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها
 إلا أعزه الله ونصره ، وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله
 قلة ، وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة إلا زاده الله بها كثرة .

لينا نعتبر بهذا حين نخطئ فنخاصم . بل لينا عند الخصومة لا نفجر في
 مظاهرنا ، ولا نغف في أسبابها بل نتعفف عن ذكر الأهراس ونبتش المدفون
 من الأسرار ، والمجاهمة بأشنع التهم وأبشع النعوت والتقاذف بما تنفر منه
 الإنسانية ويمافه الدين ولا تقبله المروءة .

لو فكر العاقل في دنياه لايقن أنها أضيق من أن تحتمل عداوة أو تنسع
 لخصومة ، ولقد قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني اتخذ لك ألف صديق والآلاف

قليل ، ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير . وقال سليمان عليه السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب ! فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحكيم . وقال بعض الحكماء : لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ؛ فرد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة . وإياك والمجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حفظك ، وكن سهلا ليناً للتريب والبعيد ، ولا تكن جباراً غنيماً .

هذه لمحة من آثار الإسلام في معالجة غريزة الغضب ، فليحذر الناس أن يستسلموا لطغيانه أو يخضعوا لسلطانه ، وليحذروا مخالفه رب العالمين ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتته أو يصيبهم عذاب أليم .

من أخبار آل البيت

حج هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فلما أراد أن يستلم الحجر لم يستطع ، فبينا هو ينتظر ، إذ أقبل على بن الحسين فتحنى له الناس هبة وإجلالا ، فقال رجل ممن كانوا مع هشام : من هذا ؟ فأجابه هشام ، لا أعرف ، وكان الفرزدق الشاعر المشهور حاضرا فقال قصيدة طويلة منها قوله :

هذا ابن خير عباد الله كلمهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رآته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

ومنها يمدحه .

يفضى حياء ويفضى من مهابته	فما يكلم الا حين يتسم
---------------------------	-----------------------

ومنها :

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
----------------------------	---------------------------

وختمها بقوله :

وليس قولك من هذا بضائه	العرب تعرف من أنكرت والعجم
------------------------	----------------------------

إبراهيم والتوحيد

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي
المدرس بكلية اللغة العربية

١ — كان إبراهيم عليه السلام رجلاً ، وكان بطلاً ، وكان صديقاً نبياً ، وكان أمة وحده ، وكان مثلاً أهل في قوة العقيدة ، وعظمة اليقين ، وجلال التضحية ، وطول الجهاد في سبيل الله والتوحيد والدين الحق ، دين الهدى والنور ، وشرعة السماء البارة بالارض وبالإنسانية جميعها ؛ وليس هناك أروع من وصف الذكر الحكيم له : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً لا نعمة ، اجتهاداً وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنة ، ولإيه في الآخرة لمن الصالحين ، ويؤكد الذكر الحكيم مكانته عند الله فيقول : « ولقد اصطفيناه في الدنيا وإياه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمتُ لربِّ العالمين ، ، ويصفه الله جل جلاله في آية أخرى فيقول : « إنه من عبادنا المؤمنين ، وفي آية أخرى يقول الله عز وجل : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، .

وهذا أعظم ما يصل إليه بشر ، ويتطلع إليه إنسان ، ويسمو إليه بإيمانه وأعماله مؤمنٌ كريم ، سلام على إبراهيم ، لقد وقف في ظلمات الحياة وضلال البشرية ، وانحراف الناس عن كلمة التوحيد والحق ، يعيدُ للأرض صلتها بالسماء ، ويبعث في النفوس معاني السموِّ بالنفس والترفع عن عبادة الأوثان والتحرر من قيود الشرك والآهواء ، ويوقظ روح الإنسانية الواسعة التي تاهت في مجاهل الحياة وبيداء الآوهام ، فنطق بكلمة الحق والناس غافلون ، ونادى بدعوة الخير وهم لاهون ، ورفع منارة التوحيد عالية بعد أن جاهد جهاد الأبطال .

٢ — كان إبراهيم من سلالة الأنبياء المطهرين ، من ذرية آدم ونوح ، وكان يرث هذا النور الأبدى الخالد ، نور السماء الذى أشرق على الأرض أحياناً ثم انطفأ ؛ ونشأ تعلو وجهه سمات الشخصية الفذة والبطل المرجى والنبي المرتقب .

وعاش فى الحياة مائتاً كريماً بأخلاقه وآدابه وشممه وإبائه وطموحه ، وحبه للخير وعمله له ما استطاع .

ولكنه كان فى شقاء بعيد بقومه وبالناس جميعاً ، يتلفت فلا يرى إلا ضلالاً وشركاً وآثاماً ، وأهواء مجابة وأوثاناً معبودة ، وانحرافاً تاماً عن دعوة الحق وتراث النبيين من قبل : آدم ونوح .

كان يحب أن يرى الإنسانية تسير بل تطير إلى غاياتها المنشودة فى الحياة الفاضلة الكريمة ، وفى ظلال العقيدة الكاملة المثلى : عقيدة التوحيد والإيمان بالله ؛ ولكنه لم ير إلا الإلثم والوثنية والشر والشرك ، وكلبة الشيطان المستجابة المحبوبة من دون كلمة الله ، فشقى بحياة الناس وبأهوائهم وضلالاتهم ، وجنح هو إلى التفكير الطويل فى الدين والقوة العظيمة المسيرة للحياة ، وفى مصير الإنسانية وحاضرها الذليل ، ومستقبلها المرموق .

٣ — رأى والده آزر ، عاكفاً هو وقومه على عبادة الأصنام فلامه وضلله ، وإذا قال إبراهيم لآبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة ، إني أراك وقومك فى ضلال مبين ، ، لأنه كان يؤمن إيماناً ثابتاً أن لا إله إلا الله ، وأنه لا يستحق العبادة من دونه شيء .

ولا عجب فقد رباه الله على العقيدة الصحيحة ، ونشأ على الإيمان الحق ، وغرس فى نفسه كلمة التوحيد المطلق ، وفطره الفطرة الكاملة ، التى فطر الله الناس عليها .

وكان إبراهيم يفكر تفكيراً طويلاً فى الدين بعقله ، وكان عقله دائماً يرشده إلى هذه الحقيقة الثابتة الخالدة ، حقيقة الإيمان بالله وحده ؛ بل كان يرجع من تفكيره أكثر إيماناً و يقيناً بالله .

رأى الكواكب فى السماء ، والقمر يملأ بنوره الفضى الجليل الكون فى الليل

البهيم ، ورأى الشمس بازغة تمنح الحياة النور وكل مقومات الحياة ؛ فقال لعقله : ولم لا تكون هذه المظاهر الكونية العظيمة هي آلهة الكون وربة الحياة ؟ لكنه رأى الكواكب تغيب ، والقمر يأفل ، والشمس تختجب عن العيون وقت الغروب ؛ ومن ثم أرشده عقله ، إلى أنها لا يصح أن تكون آلهة معبودة ؛ فطلق إبراهيم بهذه الكلمة الرائعة : « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين » .

وآمن إبراهيم بنظرية إحياء الموتى إيمانا صادقا حقا ، ولكنه أراد أن يرى هذه الحقيقة بعيني رأسه ليطمئن قلبه ، فدعا ربه « ربي أرني كيف تحيي الموتى » ، قال : « أو لم تؤمن ؟ » قال : « بلى ولكن ليطمئن قلبي » ، قال : « نخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم » .

٤ - وبلغ إبراهيم مبلغ الرجولة الكاملة ، والإنسانية العظيمة المصطفاه ، فأرسله الله جل جلاله رسولا إلى قومه ليهديهم إلى الله وإلى الحق وإلى طريق مستقيم .

« قال لآييه : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ، ؛ ولكن والده لج في ضلاله واستمر على غوايته ، وقال لابنه إبراهيم « لئن لم تنته لأرجنك ، وأهجرني مليا » .

ثم دعا قومه طويلا إلى الله وإلى الحق وإلى شريعة الأنبياء ، وكلمة السماء ، ولكنهم لجوا وضلوا وغووا وأصرروا واستكبروا استكبارا .

قال لهم : « اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون إفكا » ، وقال لهم « إئتني براه مما تعبدون » .

وجادلهم في أصنامهم طويلا حتى إذا يئس منها ومنهم ، قال لهم في حرارة العقيدة وعظمة النفس المؤمنة بالله : « أفأرى ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهدين » ،

والذى هو يطعمنى ويسقئنى ، وإذا مرضت فهو يشفئنى ، والذى يمتئنى ثم يحيينى ،
والذى أطمع أن يفترلى خطيئتي يوم الدين . .

وأرشدكم إلى إلههم الحق وأنه رب السموات والأرض الذى فطرهن .

حتى إذا يئس من أن يستجيب قومه لكلمة الحق ؛ ذهب إلى بيت الآلهة
الذى نصبت فيه هذه التماثيل والأوثان لحطمتها وكسرها ، وجعلهم جزاذا
إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون . .

وأصبح القوم ، وشاهدوا مصرع الآلهة ، فأيقنوا أن إبراهيم هو الذى
حطمتها وفعل بها هذه الفعله النكراء ، ومن غير إبراهيم يجرؤ على الآلهة
هذا الاجترار العظيم ؟ فاعتقلوه وحاكوه ، وقرروا أن يعدموه حرقاً بالنار ،
ولكن الله أوحى إلى النار أن لا تحرق هذا الجسم الطهور ، قلنا يا نار كونى
بردا وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الآخسرين . .

نجاه الله نخرج من أرض قومه مهاجرين إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين . .

أقام بالشام يدعو الناس إلى الله ، ويهديهم إلى الحق والإيمان والعقيدة
المثل ، وطفق يبلغ الرسالة ويؤدى الأمانة فى قوة ويقين وجهاد فى سبيل الله .

ه — ووجهه الله لإسحاق ، وذرية صالحة كريمة ، ثم منحه لإسماعيل ، فسمى به
استجابة لداعى الله إلى الحجاز ، وأقام إسماعيل مع بعض القبائل العربية حول
مكة ، وتفجرت له عين كريمة من الماء هى عين زمزم ، وأخذ قلب إبراهيم الكبير
يرفرف بعطفه على ولده إسماعيل ؛ فابتل إلى الله أن يجعل موضع إسماعيل كعبة
للناس ، ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا
ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات ؛
لعلمهم يشكرون . .

وأخذ إبراهيم وإسماعيل يحدان بناء البيت الحرام ، ويطهرانه للطائفتين
والعاكفين والركع السجود ، وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ، كما أخذ يؤذن في الناس بالحج إلى هذا المكان الطاهر الكريم ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، .

٦ — واسماعيل وهو الابن البار ، والشاب المحبوب ، وفلذة كبد أبيه ، صم إبراهيم أن يضحى به وهو صغير استجابة لكلمة رآها في المنام .

قال له إبراهيم : « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، .

استجاب الابن والاب لداعي الله ، فلما أسلما وتلَّهُ للجبين ، وناديتاه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا هو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، .

أي عتيقة بلغت من القوة والسمو واليقين هذا المبلغ العظيم ، الذي بلغته العقيدة في نفس إبراهيم .

وهكذا عاش إبراهيم ما عاش مؤمنا قوى الإيمان ، مجاهدا في سبيل إيمانه بربه ، مشردا عن وطنه ، داعيا إلى التوحيد المطلق ودين الإنسانية الممهدة ، وكلية السماء الهادية للأرض ومن فيها .

٧ — وبعد فلقد وسع قلب إبراهيم الكبير كل معاني الخير والرحمة ، والبر والحنان والإنسانية الكريمة ؛ كما وسع كلمة الحق والصدق والعقيدة والإيمان .

أشفق على أبيه أن تمسه النار ؛ فدعاه وحذره فأبى واستكبر فأخذ يدعو الله له أن ينقذه من عذاب الجحيم ، قال له : « سأستغفر لك ربى إنه كان بي حفياء ، ، ولكنه حنان الأبناء ووفاءهم للأباء ، لاستغفرون لك وما أملك لك من الله من شيء ، ، ثم أخذ يضرع إلى ربه : « واغفر لابي إنه كان من الضالين ، ، رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، ؛ ولكن الله لا يرحم مشركا ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ، .

ممن أسكن لابنه في الصحراء فأخذ ينهل إلى الله أن يجعل مكان إقامته بلدا آمنا وأن يرزقه وأهله من الثمرات .

وأشفق على قومه فنصحهم نصيح المشفق الأمين ، ثم أراد أن يطمن على مستقبل الإنسانية ، وعلى أن كلمة الحق والدين ستبقى ، وأن شعلة الإيمان لن تنطفئ فدعا الله أن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، وأن يبعث فيها رسولا منها يطهرها ويركها ويصلها بالله .

وبعد فدين إبراهيم دين الحنفية البيضاء وشريعته هي الشريعة المطهرة ، التي دعا إليها الأنبياء بعده ، ولقد عاش إبراهيم عظيما ، ومات كريما وترك ذرية طيبة تعبد الله في الأرض ، وكان من نسله الكثير من الأنبياء والمرسلين ، حتى لقبه بأبي الأنبياء ، ولقد تلقى إبراهيم عن ربه كلمات الدين والتوحيد فآمن ، وبلغها للناس تامات ووفى بعهده ، ونشر كلمة الإيمان في الآفاق ، وذهب راضيا مرضيا . وتركنا عليه في الآخرين : سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين .

مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي

اتقاء الذم

روى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن شاعرا مدحه فأجزل ثوابه ، فلامه بعض أصحابه على ذلك . فقال :

« أتاني خفت أن يقول : لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، ولا ابن علي بن أبي طالب ؟ ولكنني خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلي رضي الله عنه ، فيصدق ويحمل عنه ، ويبقى مخلدا في الكتب ، محفوظا على ألسنة الرواة . »

فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني .

وقد أثر عن أخيه الحسن مثل ذلك فتد روى أنه أعطى مالا كثيرا ، فقيل له : أعطى شاعرا يعصى الرحمن ويقول البهتان ؟ فقال : أن خير ما بذلك من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر .

الصَّوْمُ تَأْذِيبٌ وَتَهْذِيبٌ

لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المنعم هلى أبو سعيد

النفس الإنسانية كثيرة المطالب ، متنوعة الحاجات والرغائب ، لا ينهى طمعها ، ولا يفتقر جشعها ، ولا تقف عند حد أهواؤها وبوازمها : إذا منعت من شيء غضبت وسخطت ، وأرغبت وأزبدت ، وإذا أعطيت طمعت واستقلت ، بل بطرت وأنكرت نعمة الله ، وإحسان الخالق وحاجة المخلوق !

لذلك كان تشريع العبادات ، وفرض التكاليف الإلهية لتهدئتها وترقيق مشاعرهما ، وإرهاق حسنها ، وتوجيهها إلى الحق ، ولقنها إلى ما يجب لها من قناعة وإسماح ، وما ينبغي من سكينة ورضى ، وحسن إيمان ، وتذكيرها أن الله جل شأنه هو الذى يعطى ويمنع ، ويهب ويسلب ، ويثيب ويعاقب ، عطاؤه لسر ، ومنعه لحكمة ، ولا يدرك ذلك ، ولا يرضى به إلا المؤمنون الصادقون .

فكل ما شرعه المولى من عبادات ، ودعا إليه من تكاليف وطاعات ؛ إنما يرمى إلى تربية الفضائل فى النفس ، وتنمية روح الاجتماع فى الإنسان ، وإعدادة إعدادا صحيحا لمواجهة الحياة المكريمة الفاضلة ، وإن فى الإسلام لآدابا وفضائل نحن أحوج الى تدبرها ، والانتفاع بما فيها من سمو العبرة ، وجلال العظة .

والصيام عبادة من أجل العبادات ، وطاعة من أروع الطاعات ، شرعها المولى جل شأنه لغرس الرحمة فى القلوب ، وتطهير النفس من الشرور وتعويدها على الرضى بتصاريف القدر ، والصبر حين يفاجئها المنع ويستبد بها الحرمان . فهو

فضيلة من أعظم الفضائل ، ومدرسة حازمة لتربية الإرادة القوية ، والعزيمة النافذة ، والطاعة الحكيمة ، وهو كذلك لجنة من الشهوات ووقاية من ملابسة الخطيئات ، وحصن يحتسى به المؤمن إذا ساوره الهوى ، ونازعته غواية الشيطان .

يقول الله جل شأنه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ، كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَعْلَمِكُمْ تَتَّقُونَ ، فَغَايَةُ الصِّيَامِ غَرَسُ التَّقْوَى فِي الْقُلُوبِ ، وَبَعَثَ الْخُشْيَةَ فِي النُّفُوسِ ، وَتَذَكِيرَهَا بِمَا يَحْسَهُ الْفَقِيرُ مِنَ أَلَمِ الْحَاجَةِ وَذُلِّ الْحَرَمَانِ ، وَمَرَارَةِ الْجُوعِ وَقَسْوَتِهِ ، وَإِرَاحَتِهَا مِنْ بَعْضِ أَطْعَامِهَا ، وَاشْتِجَارِ أَهْوَائِهَا . وَنَحْنُ نَقْضِي أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْعَامِ بَيْنَ لَهْوٍ وَلَعِبٍ ، وَأَكْلِ وَشَرَبٍ ، نَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ نِظَامٍ وَلَا مِيعَادٍ ، وَلَا تَقِيدُ بِصَبَاحٍ أَوْ مَسَاءٍ ، ثُمَّ نَسْتَقْبِلُ شَهْرَ رَمَضَانَ ، نَسْتَقْبِلُ شَهْرًا نَعُودُ فِيهِ حَكْمُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي أُسْرِفْتُ وَجَازَفْتُ ، وَالَّتِي أَكَلْتُ حَتَّى مَلَأْتُ وَتَعَبْتُ ، وَشَبَعْتُ حَتَّى انْتَحَمْتُ ؛ وَبِذَلِكَ يَكُونُ الصِّيَامُ وَسِيلَةً إِلَى حَكْمِ النَّفْسِ وَإِخْضَاعِهَا ، وَسَبِيلًا إِلَى زَجْرِهَا وَتَخْوِيفِهَا ، وَالنَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ لِقَسْوَتِهَا وَتَمَرُّدِهَا لَا يُخَفِّفُهَا شَيْءٌ ، وَلَا يُرْهِبُهَا سِلَاحٌ بِقَدْرِ مَا يُخَفِّفُهَا الْجُوعُ ، وَيرْهِبُهَا الْحَرَمَانُ ! نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصْبِرَ عَلَى كُلِّ حَادَثٍ ، وَتَحْمِلُ كُلُّ أَلَمٍ إِلَّا أَلَمَ الْجُوعِ وَذُلَّهُ وَشِدَّتَهُ ؛ لِذَلِكَ كَانَ هَذَا السِّلَاحُ مِنْ أَسْلِحَةِ إِرْهَابِهَا وَتَخْوِيفِهَا ، وَتَوْجِيهِهَا إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا بِجَارِيهِ بِالْجُوعِ ، .

لَوْ فُهِمَ النَّاسُ الصِّيَامُ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَأَرَادَوْهُ عَلَى طَبِيعَتِهِ ؛ لَكَانَ حَرْبٌ كُلُّ مَفْصَدَةٍ ، وَعَدُوٌّ كُلُّ شَرٍّ وَطُغْيَانٍ ، وَمَدْعَاةٌ إِلَى الْتِرَاحِ وَالتَّعَاطُفِ ؛ لَكِنَّ النَّاسَ أَلْفَوْهُ عَلَى غَيْرِ وَضْعِهِ ، وَتَعَوَّدُوهُ عَلَى غَيْرِ طَبِيعِهِ ، وَفَهَمُوهُ جَوْعًا تَمَلُّ مِنْهُ النَّفْسُ ، وَعَطْشًا يَتَأَذَى مِنْهُ الْإِنْسَانُ دُونَ حِكْمِهِ وَلَا غَايَةٍ .

انْقَلَبَتِ الْعِبَادَةُ فِيهِ إِلَى عَادَةٍ يَوَاجِهُهَا الْإِنْسَانُ بِمَا يُخَفِّفُ وَطَأَتِهَا ، وَيَسَهِّلُ شِدَّتِهَا ، وَيَمِينُ عَلَيْهَا مِنْ مَا كُلُّ وَمَشْرَبٍ ، وَهَلْ هُنَاكَ أَسْوَأُ أَثَرًا ، وَأَقْبَحُ خَطَرًا ،



مركز تحقيقات كالمپوئر علوم اسلمى



مركز تحقيقات كالمپوئر علوم اسلمى

مقارنة وتحليل

مِنْ طَرَفَيَّ الْفَرَزِ الْحَكِيمِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغنى عوض الراجحي

تستطيع أن تلاحظ معي بسهولة ان قصة موسى على طولها وكثرة دوراتها في القرآن الكريم ، تتلخص في أربع مراحل هي كل حياة هذا الرسول القوى الأمين .

المرحلة الأولى : وتبدأ بميلاده وتنتهى بفراره من المملأ حين اتعمروا به إلى بلاد الشام .

المرحلة الثانية : وتبدأ بوروده ماء مدين ونزوله على شعيب ، وتنتهى بعودته بأهله إلى مصر رسولا إلى فرعون .

المرحلة الثالثة : وتبدأ برسالاته إلى فرعون وصراعه معه ، وتنتهى بفراره من فرعون وجنوده إلى بلاد الشام .

المرحلة الرابعة : وتبدأ بنزوله وقومه بلاد الشام وتنتهى بانتهاء حياته . كانت كل مرحلة من هذه المراحل غاصة بالحوادث الجسام ، ولقد أخذ القرآن على عادته في قص القصص ، يذكر المرحلة الواحدة والمعنى الواحد في أكثر من موضع بأساليب تختلف إيجازا وإطنابا وتقديما وتأخيرا ، وإبدال لفظ بآخر ونحو ذلك .

لنعد الآن إلى المرحلة الأولى ، ولننقب عما عسى أن يكون فيها من المعاني الواحدة التي حكيت في موضع بأسلوب وفي موضع آخر بأسلوب آخر ، ولنحاول الكشف عن سر ذلك تفصيلا ، ملتزمين المأخذ الذي أخذناه على أنفسنا في سالف هذه المباحث .

هذه المرحلة الأولى بما في طيها من حوادث ميلاده وألفائه في اليم .

والتقاط آل فرعون له ، وردده إلى أمه ، ثم قتله القبطى وفراره بنفسه إلى الشام لم تذكر إلا فى موضعين فى سورة طه من الآية ٢٨ إلى الآية ٤٠ وفى سورة القصص من الآية ٧ إلى الآية ٢٢ .

والقدر الذى يتفق ويفترق ^(١) فى آيات هذه المرحلة ، ويمكن عقد المفارقات فيه قليل بحيث لا تزيد المفارقات على أربع ، يجرنا البحث فى اثنتين منها إلى التعرض لآيات وإن لم تكن من قصة موسى إلا أنها تشابه معها وتدخل فى نطاق بحثنا .

المفارقة الأولى : سورة طه ، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقدفيه فى التابوت سورة القصص ، وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه ، فآلقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، .

الذى قاله لام موسى بشأن تهريبه من فرعون حيث يتتبع المواليده ، يقتل أبناءهم ويستعبي نساءهم كان شيئاً واحداً ، فكيف اختلفت حكايته فى سورة طه أنه قال لها : فآقدفيه فى اليم وفى سورة القصص أنه قال لها : فآلقيه فى اليم ؟ والجواب عن ذلك أن المآل واحد فى الإلقاء والقذف ، وإذا كانت الحكاية للمعنى لا للألفاظ ضرورة أنها كانت بغير العربية ، وهذا لسان عربى مبين ، وكان هذا التخالف بين اللفظين تفتناً بُنى على أحسن المناسبات ، ورعاية المقتضيات ، كان ذلك المصنيع أولى أن يعترض بعدمه من أن يعترض بوجوده ، فالإلقاء والقذف وإن كانا فى نهاية المعنى شيئاً واحداً ، إلا أن الأول فيه معنى الوضع والخط والثانى فيه معنى الرمي والتبذ والطرح ، فى الأول من العناية واللفظ والإحكام ما ليس فى الثانى ^(٢) وعلى ذلك فقد وقع الأول جواباً لقوله تعالى فإذا خفت عليه ؛ لأن ما يخاف عليه ، ويشفق يوضع بإحكام ولا يرمى به ، ولما لم يذكر الخوف فى الموضع الثانى لم يكن بأس من التعبير بالقذف .

وباختبار آخر . حيث ذكر الخوف عليه فى سورة القصص من إدراك فرعون له ، وكان هذا الخوف مدعاة لتعجل فى رميه فى اليم دون عناية وإحكام

(١) يتفق معنى ويفترق الفاظاً أو يتفق فى بعض الألفاظ ويفترق فى البعض الآخر .

(٢) فى مفردات الراغب القذف الرمي البعيد ، وفى المصباح ألقيت المتاع على العتبة وضته .

أشير إلى وجوب تحاشي ذلك ، بوقوع الجواب من مادة الإلقاء ، دون القذف
وحيث لم يذكر الخوف عليه في سورة طه ، وقع التعبير بالقذف ، سيما وقد كان
بجوار القذف ما هو أدخل في باب نجاته ، وإحكام وضعه ، وهو التابوت حيث
قيل : « فاقذفه في التابوت فاقذفه في اليم » .

فإن قيل ولم ذكر الخوف معلقا عليه في موضع دون آخر ؟ ، قلت أيّما كان
الامر من تعدد الوحي إليها في المحكي أو عدم تعدده ، فإن التعليق بما فيه من
الخوف قد ذكر في سورة القصص ، دون سورة طه ، لما أن الأولى قصد فيها
قصدا أوليا إلى اقتصاص هذه المعاني وتفصيلها ، على حين أن الثانية ذكرت فيها
هذه المعاني على سبيل الاعتراض بها تذكيرا لموسى بنعمة قيّمة عليه ، حين سأل
ربه « هرون أخى أشدد به أزرى ، وأشركه في أمرى ، فأجابه الرب « أوتيت سؤلك
يا موسى ، ولقد منّا عليك مرة أخرى : إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفه
في التابوت فاقذفه في اليم » ^(١) .

وعلى أن الوحي إلى أم موسى قد تعدد — كما اختاره وأميل إليه — بأن كان
الأول معلقا صدر لها قبل ميلاده أو بعد ميلاده ، وقبل إحداق الخطر به ، وكان
الثاني ناجزا عند إحداق الخطر به ، فقد ظهرت حكمة أخرى للتعبير بالإلقاء
في الأول ، والقذف في الثاني من حيث أن القذف أدل من الإلقاء على الإسراع
مخافة إدراك العدو له حين هجومه . ألا يرى إلى حروف القاء المتتابعة المشعرة
بهذا المعنى « اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم فليلقه اليم بالساحل ، وإلى الإصرار
هلى التعبير بالقذف مرتين متجاورتين . اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم ؟ .

« المفارقة الثانية ، سورة طه . إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من
يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ، سورة القصص . فقالت هل
أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها
ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق » .

المفارقة ذات وجهين . الوجه الأول : حكاية قول أخت موسى في سورة طه

(١) راجع القصة في السورتين

بطريقة ، هل أدلكم هل من يكفله ، وفي القصص بطريقة ، هل أدلكم هل أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فاسم الموصول في العبارة الاولى وهو ، من ، يقابله في العبارة الثانية المضافان ، أهل بيت ، و ، يكفله ، في العبارة الاولى ذات ضمير واحد يقابلها في العبارة الثانية ، يكفلونه لكم ، هكذا بثلاثة ضمائر ، وقد كان من الجائز أن يكون كل منهما مكان الآخر جملة وتفصيلا ، والجواب بعد ما هو مفروغ منه من التفنن وحكاية المعاني لا الالفاظ ، أن المقام في سورة القصص مقام بسط واقتصاص معمود إليه مفتتح بقوله تعالى ، تتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، .. الآيات : أما المقام في سورة طه فمقام إيجاز واعتراض بهذه المرحلة من قصة موسى على ما سبق بيانه ، ألا يرى إلى زيادة قوله ، وهم له ناصحون ، في المقام الاول دون الثاني ؟ .

الوجه الثاني ، قوله تعالى في سورة طه ، فرجعناك إلى أمك ، وفي سورة القصص ، فرددناه إلى أمه ، ؟ أما ضمير الخطاب في الاول ، والغيبة في الثاني فلأنه مقتضى المقام في كل .. أما وقوع التعبير عن معنى واحد بلفظين مختلفين ، حيث قيل في الاول ، رجعنا ، وفي الثاني ، رددنا ، فأحسبه بعد ما فيه من تلوين وتنويع ، قد وقع الرد حيث هو واقع ، لأنه سبق في الموضع نفسه باللفظ نفسه ، حيث قيل قبله بقبائل في وعد الله لام موسى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فكانت حكاية نفاذ الوعد من لفظ حكاية الوعد ذاته ، فإن قيل ولم كان هذا السابق في الوعد بلفظ الرد ؟

قلت : إنه من تمكين المعنى بحس اللفظ وهيئته ^(١) فلا شك أن رجوع موسى إلى أمه ، إنما كان بحيلة تحريم الله المراضع عليه ، الأمر الذي اقتضى رده إلى أمه وهم لا يشعرون ، والحيلة بالنسبة للعباد ، فيها تعمل وتكلف يشبه ويناسب الثقل ، والتعمل في الإدغام الواقع في قوله تعالى : ، إنا رادوه إليك ، هذا مع ما بينه وبين قرينه في قوله تعالى : ، وجاعلوه ، من المشاكلة في الحركة والمعنى ، ففي كليهما خروج بالشئ من حال إلى حال .

كما أنه كان سبق هذا الوعد في سورة القصص هو السبب في اختصاص

(١) سبقت الإفاضة في بيان هذه الظاهرة في القرآن الكريم في مقالات سابقة .

الوضع نفسه بزيادة قوله تعالى : « ولتعلم أن وعد الله حق ، دون شيء من ذلك كله في سورة طه (١) » .

المفارقة الثالثة : في قوله تعالى في سورة القصص في شأن موسى : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزي المحسنين ، مع قوله تعالى في شأن يوسف في سورة يوسف : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزي المحسنين ، فقد اختصت قصة موسى بزيادة قوله تعالى : « واستوى ، عقب قوله تعالى : « ولما بلغ أشده ، والجواب عن ذلك يقتضى أن نقول : إنه قد وقع خلاف كبير في بيان الأشد والاستواء ، وهل هما شيء واحد أو شيان ؟ ف قيل في الأشد : إنه سن البلوغ ، وقيل الواحد والعشرين ، وقيل الثلاثين ، وقيل الثلاث والثلاثين ، وقيل الأربعين . وقيل في الاستواء : إنه سن الأربعين ، وقيل قبل الأربعين ، وقيل بعده ، وقيل هما — الأشد والاستواء — بمعنى استكمال القوة واعتدال المزاج والبنية ، وكذلك حصل خلاف في المراد بالعلم والحكم . فقيل هما الرسالة ، وقيل النبوة ، وقيل الكمال النفساني من الحكمة العملية والنظرية ، ومهما يكن من هذه الأقوال أو غيرها ، فإن الآية الأولى دلت على أن الله أعطى موسى الحكم والعلم حين بلوغه الأشد والاستواء ، والثانية دلت على أن الله أعطاهما ليوسف حين بلوغه الأشد ، فهما في جانب موسى زيادة الاستواء ، وهي زيادة دالة على زيادة في معنى بلوغه الأشد والاستواء . أما على أن الاستواء قدر زائد عن الأشد ، فظاهر ، وأما على أنه غير مبين له ، فإنه لا محالة دال على زيادة في هذه المعاني ، ومحال أن يكون لغوا . وعلى ذلك لجائز أن تكون هذه الزيادة من قبيل السن ، على معنى أن إيتاء العلم والحكم ، كان ليوسف قبل أن يكون لموسى بحسب عمر كل منهما ، ويؤيده ما هو ملاحظ في قصة يوسف قد أوحى إليه وهو في الحب ، كما قال تعالى : « وأوحينا

(١) لنستمع إلى الشيخ زكريا الأنصاري في كتيبه : « فتح الرحمن فيما يلتبس من آي القرآن ، حيث يقول في هذه المفارقة : « وجهناك لتقاوم ثقل الرجح خفة فتح الكاف والرد ليقاوم خفة الرد ثقل ضمة الهاء وليوافق قوله إنا رادوه ، اه .

إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ، وقد رأى الرؤيا فجاءت مثل فلق الصبح حين قال لأبيه : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، وأما موسى فلم تظهر عليه علائم الحكم والعلم مبكرة ، فإنه ظل دون وحى إلى قتله القبطى وفراره إلى الشام ، وقضائه أجل الاجارة وعودته بأهله من لدن شعيب ، فجاءه الحق ، وجاءته الرسالة . وكان المعنى فى ذلك : أن يوسف من بيت علم ونبوة ، فظهرت عليه مخايل ذلك فى صغره ، ولا كذلك موسى ، فإنه لم يعاجل بذلك بل استوفى به .

وجائز أن تكون هذه الزيادة لا من قبيل السن بخصوصه ، ولكن من قبيل ما فى الجسم وبنية الشخص ، والمعنى : أن الله أعطى ليوسف الحكم والعلم حين بلوغه الأشد ، وأعطاهما موسى حين بلوغه الأشد والاستواء ، فكان موسى حين هذا الإيتاء يزيد الاستواء على يوسف ، فكان أقوى جسما وأصلب عودا فيؤول المعنى إلى إثبات زيادة القوة البدنية فى موسى عنها فى يوسف ، فلئن كان يوسف قد أوتى شطر الحسن ، فقد أوتى موسى شطر القوة والفتوة ، وقد حدثنا القرآن أنه وكز رجلا ففضى عليه ، وحدثنا الحديث الصحيح : أنه صك ملك الموت ففقا عينه ، وقد قالت ابنة شعيب : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين ، ووصفه النبي فى حديث المعراج : بأنه يشبه رجال أزدشنوءة الأشداء الأقوياء ، وكأنما كانت هذه القوة فيه من إعداد الله له ليقوى على ملاقات ما عاناه من الشدائد فى حياته ، من مقارعة فرعون الجبار وتمرد بنى إسرائيل عليه مرة بعد أخرى ، وهجرته إلى الشام من مصر مرة بعد أخرى .

المفارقة الرابعة : فى قوله تعالى فى سورة القصص : وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائكة يأتون بك . . . مع قوله تعالى فى سورة يس : وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . . . الاصل فى الفاعل أن يلى فعله لا يمدل من هذا الاصل إلا لموجب ، فإذا كان ما فى سورة القصص على الاصل من إيلاء الفاعل لفعله ، فما هو الموجب الذى دعا إلى مخالفة هذا الاصل فى سورة يس ؛ حيث فصل بين فاعل المجيء وفعله بالجاء والمجرور ؟ الجواب أنه تقدم فى نفس السورة قوله تعالى : واضرب لهم مثلا أصحاب القرية

إذ جاءها المرسلون . . . ، فذكر الله القصة ، وبين أن أهل القرية استكبروا وأصروا على الكفر بالرسول وتكذيبهم رغم تعزير الله لهم ، وتوكيد أقوالهم بكثير من أدوات التوكيد^(١) فلما أراد الله أن يذكر بعد تصوير هذا النزاع أن رجلاً جاء فصدق الرسل ، ونصح قومه باتباعهم وكانت نفس السامع للقصة قد عرفت إصرار القوم الحاضرين ، وأصبحت مستشرفة لأن يكون هذا المصدق إنما أتى من مكان بعيد ، جاء النظم القرآني مسعفاً للنفس بما تشوفت إليه وذلك بتأخير الأفعال ، وتقديم المكان الذي جاء فيه فإنه أهم وأولى .

وكم كان ذلك كله على طرف التمام من المناسبة بسابق القصة في السورة نفسها ، فإنه تحدث عن إصرار أهل مكة على الكفر والتكذيب بخاتم النبيين ، فسواء أأنذر أم لم ينذر فهم لا يؤمنون ، فكانت قصة أصحاب القرية هذه بما فيها من هذا الصنيع الذي نعلل له ، كاللبشارة لخاتم النبيين ، فإنه إن أصر على الكفر به من عاينه وباشره فمضى الله أن يقيض له من المؤمنين به من تأت بهم الدار ، وشط المزار من أهل يثرب وهكذا قد كان .

قد يقال بعد ذلك ما يال هذه المدينة سميت قرية في نفس السورة في قوله تعالى : واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، ؟ وجوابه أن المدلول واحد فالمدينة والقرية والبلدة والمصر ، قد يجوز إطلاقها على مدلول واحد لكن لعل المدينة لما يراعى فيه الكبر والاتساع ، والقرية لما يراعى فيه الصغر والضيق فلما تعلق ببيان كبرها غرض حين بيان أن الرجل الذي جاء مصداقاً كان من أقصاها البعيد ، وقع التعبير بالمدينة لإبعاد التهمة بأنه ربما كان له سابق تواطؤ مع الرسل دون شيء من ذلك في مطلع القصة الذي وقع التعبير فيه بالقرية ، أما المدينة في سورة القصص فهي في جميع مواضعها ، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها . . . ، فأصبح في المدينة خائفاً يترقب . . . ، وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، فلا سؤال في ذلك . والله أعلم .

(١) راجع ما يشير إليه من المقامات والسور فهذا الذي تذكره هاهنا ليس أكثر من مفاتيح

للبحث نوضح بين يديك .

الوحدة في تعاليم الإسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ المنشاوي عبود الخولي

المدرس بمعهد القاهرة

من مظاهر التكريم الذي أسبغته الله على الإنسان ، أن أودع فيه حياً ذاتياً لبنى نوعه ، فجعله يحس بالحاجة الملحة إلى الإقامة في كنفهم ، وتبادل العون معهم . والاعتصام بحبل مودتهم ، والإذعان بأن وجوده مرتبط بوجودهم ، فلن يدور بخلده أن ينأى عنهم ، ويحيا بعيداً عن محيطهم ، لأنه يعتقد أنهم عوامل بقائه . والعناصر المتممة لوجوده . فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، وبوحى الفطرة يدرك أنه لبنة في بناء المجتمع الذي يستظل بلوائه ، ويحظى ثمراته ، وأن هذا المجتمع لا تقوى دعائمه ، ويحكم بناؤه إلا بتضافر القوى وتأزر الأفراد وتماسكهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، لكن هذه الفطرة قد يمرض لها ما يفسد جوهرها ، ويضعف سلطانها ، فجاء الإسلام للفطرة حامياً ونصيراً ، وعضداً وظهيراً ، ولفت الأذهان إلى تلك المعاني القيمة المركوزة فيها ، وأوصى بضرورة الاسترشاد بهديها ، والافتباس من نورها ، وأخذ النفس بقانونها ، وأعلن في صراحة ووضوح ، أن الاتحاد دعامة الأمة التي تركز عليها قواعدها ، وتشيد صروح عزها وباذخ مجدها ، وعصبتها الحساس الذي يشد أزرها ويجعلها ربيعة العماد مرهوبة السلطان ، وروحها القوى الجبار الذي يبعث الحياة الماجدة في عروقها ، وينشر النهضة المباركة في جميع آفاقها ، ودرهما الحصين الذي تعصم به عند الخطوب تفتيخ الثقة والأمن في ربوعها والخور والطلع في أعدائها .

فلا عجب إذن أن تعنى الدولة بضم صفوف أبنائها أكثر من عنايتها بسلاحها ومعداتها الحربية ، لأن السلاح لا يغنى قليلاً إذا كانت تحمله نفوس متاحرة

متخاذلة ، عندئذ لا يهرب العدو لها بأسا ولا يخاف بطشا ، ويهون عليه أمرها .
والأمة إذا هان أمرها على أعدائها كانت عرضة للزوال والانحيار . أنظر
إلى تصوير القرآن الكريم لحال قوم وقفوا من المسلمين موقف المحاربة ،
وقد أفسدوا ذات بينهم ، ومزقت الفرقة وأواصر مودتهم ، لا يقاتلونكم جميعا
إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، ثم علل ذلك بقوله : بأسهم بينهم شديدا
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون . .

لهذا كله عفى الإسلام بالوحدة هناية فائقة فما ترك عاملا من عوامل الفرقة
والإنقسام إلا قضى عليه ، ولا بابا من أبواب جمع الكلمة وتآليف القلوب
إلا دعا إليه . ونوجز ذلك فيما يأتي .

(١) عمد إلى بدعة التفاخر بالانساب والمباهاة بالأجناس فهتك حجابها ،
وبدد ظلامها وصراعها في مهدها ، وذكر في نداء صريح جامع أن البشر جميعا
أبناء أب واحد وأم واحدة ، والكل إخوة متساوون في الانتساب إليهما ، فليس
لامة أن يداخلها الزهو بأصلها ، أو تزعم أنها شعب الله المختار بعد أن يرن في
آذانها هذا الخطاب الرائع الوارد في قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من
ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، فاعلمهم شعوبا وأئما إنما هو
وسيلة لتعارفهم وتوحيد أهدافهم لخير الإنسانية وهنامتها .

يا من تنشدون السلام هذا هو الإسلام يحقق ضالتكم ويعطيكم ملء أيديكم
من السلام ، فهو يدعو إلى إخوة شاملة جامعة ، لا تعرف التفرقة بين شعب
وشعب ، ولا بين أمة وأمة ويجعل تبادل الإحسان فيما بينهم وفاء بحق القرابة
وصلة للأرحام ، فخذروا عنه ولا تولوا وجوهكم شطر مدينيات الغرب فدولهم تقسّر
بالدعوة إلى السلام ، وتخفى وراء ذلك روغان الثعالب وغدر الذئاب .

أرأيت أبلغ في الرد هل فریتهم من فقد السلام بينهم وهم دعائه ؟

ولقد عجزت إحدى تلك الدول عن التسوية في الحقوق والامتيازات بين
رعاياها ، ففرقت بين لون ولون ، ابن هذا بما يدهو إليه الإسلام من المساواة ،
وأعلنه نبي الإسلام من فوق منبر دولي عام في حجة الوداع فقال عليه الصلاة
والسلام : « كلکم لآدم و آدم من تراب » .

ثم يفتح الإسلام ميدان التسابق في الفضائل ، والتزود من المحامد التي منها توثيق أواصر المودة والتآخي بين الشعوب جميعاً فيقول تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا فضل عربي على عجمي إلا بالتقوى » ، (٢) أعلنه في صراحة وإيضاح أن الأديان كلها تنبع من معين واحد ، وتلتقي في غاية واحدة وهي توحيد الله تعالى والإخلاص في عبادته ، والإحسان في معاملته خلقه ، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، فلا يليق بمعاقل بعد هذا أن يعكس القصد من الدين ، ويجعله مادة للشقاق والنزاع الذي يزرع الأحقاد ويقطع الأرحام ، إنه إن اقترف ذلك فقد مزق رداء الإسلام ، وتقلص عنه ظله وفارقه برد اليقين ، إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . . .

(٣) ترفق بخصومه من أهل الأديان ودعاهم إلى التفاهم في جو مفعم بصفاء المودة ، والإخلاص للحقيقة فطلب من الرسول الأكرم أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة معترف بها من الجميع ، ليست خاصة بفريق ولا تنسب إلى دين دون غيره . فإذا أثير في نفوسهم المتفق عليه لم يشق عليهم بعد ذلك الإذعان بالمختلف فيه . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » .

وإنك لو صوبت النظر إلى أي حكم من أحكام الإسلام لوجدت الاتحاد ثمرته وغايته .

ففي العبادات شرع الله الصلاة وحث على الحرص في أدائها بالجماعة ، ليقف الكل على قدم المساواة ، يقتدون بإمام واحد في صلاة واحدة متجهين إلى قبلة واحدة ، مخلصين العبادة لإله واحد ، عندئذ تجتمع القلوب في مناجاته والضراعة إليه والثقة به والتوكل عليه .

ولتحقيق الوحدة في صورة باهرة دعا الإسلام إلى اجتماع أسبوعي في صلاة الجمعة ، حيث يتضاهف العدد وتقوى أسباب الوئام .

وزيادة في تمكين الرابطة الإسلامية وإكسابها متانة وصلابة ، شرع الدين اجتماعين حاشدين كل عام في صلاة العيد .

لكن هذه الاجتماعات كلها قد تكون قاصرة على أهل البلد الواحد ، فعقد الإسلام بشره للحج مؤتمراً عاماً شاملاً يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها ، وقد تجاوب شعورهم وتوحدت أهدافهم ، يؤدون عبادة واحدة ، ويطوفون حول بيت واحد ، ويجأرون بالتلبية لآله واحد مغتبطين بالاجتماع على طاعته ، والاعتصام بحبل مودته ، متسابقين في الشكر على جزيل فضله وعظيم توفيقه إذ أصبحوا بعمته إخواناً :

وناهيك بمشروع الزكاة الذي هو خير نظام اجتماعي ، يوثق أواصر المودة بين الأغنياء والفقراء ، ويجعل منهما أعواناً متناصرين بل إخوة متحابين ، يكونون جهة منيعة تسعى جاهدة في بناء مجد الأمة ، وتصد عنها تيار النزعات الهدامة والمذاهب الجاحدة .

ونظام العقود في الإسلام يحقق الوحدة في أروع صورها ، لأنه قائم على التزام النصح والأمانة وبجانبه الكذب والتدليس والخيانة ، حتى لقد حكم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بإخراج الفاسق من حظيرة الإسلام فقال :
 د من غشنا فليس منا . . .

وأما العقوبات فقد شرعت زجراً للغاوين وردعاً للمفسدين وقضاء على فكرة سوء التي تطوف بأذهان المفتونين ، فتدفعهم إلى الاعتداء على الآمنين ، والعدوان أقوى هادم لبناء الوحدة ومثير للبغضاء الخالقة للدين . فرهبة العقوبة تمنع من التوجه إلى اقتراف أسبابها ، وبذلك يسان جوهر الوحدة ويتبادل الجميع الأمن والاحترام والمودة والوئام ، وجعل الكل أمام قانون العقوبات سواء ، لتجتمع كافة الناس على تقديسه وخشيته سلطانه ، لا فرق في ذلك بين شريف وضيع وغني وفقير ، ورئيس ومرءوس وسيد ومسود ، كان ابن الإيهم أميراً على الشام وفي أثناء طوافه حول الكعبة داس أعرابي على طرف رداءه فلطمه جبلة ، فشكاه الأعرابي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحكم عمر بالقصاص وقال لجبلة لا بد أن تخضع للطمعة مثلها من الأعرابي ، فقال له : أتسوون بين الملوك والسوقة ؟ فقال له عمر : الإسلام قدسوى بينكما . . هل سمع الناس بمثل هذا التشريع في سموه وعدالته الخالدة التي تنتصف من الأمير لآحد رعيته ؟

وهل أتاهم نبأ ذلك الدين القيم الذى يجعل شعار الخليفة الإسلامى . من رأى منكم فى أعوجاجاً فليقومه ، يعلن هذا أحد الخلفاء . فرد عليه أحد الخاضعين لحكمه قائلاً : والله لو رأينا فى أعوجاجنا لقومناه بسيوفنا . فيحمد الله تعالى أن جعل فى الرعية من يقوم أعوجاج الخليفة بسيفه .

وهل علموا أروع من أن الإسلام يحيز لأحد أتباعه أن يقاضى الخليفة أمام قاض من قضاة المسلمين ، فلا يبالي القاضى أن يحكم على من ولاه القضاء : إذا كان الحق فى جانب خصمه ، ولا يتهيب أن يرد شهادته إذا لم تتوفر لديه أسباب الأخذ بها ، ذلك لأن نصرتة للحق أحب لديه من صلته بالخليفة ، فنصرتة للحق اعتصام بربه ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

هذا هو الاتحاد الذى فهمه الرعيل الأول من المسلمين ، وفتحوا له قلوبهم وسكنت جوارحهم ، واتخذوه مهاجماً عملياً ، فى كل شئونهم ، فظفروا بعون الله وإمداده وعزده وإسعاده . ونصرهم بالرعب ، وشرفهم بالخلافة عنه ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وجعلهم للعالم أئمة مهتدين ، وقادة موفقين ، فلاؤوا الوجود حكمة ورشداً ، وعدلاً وفضلاً ، وتمت كلمة ربك الحسنى عليهم بما أصلحوا فسمعوا بتحقيق وعده الكريم الوارد فى قوله تعالى : ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون .

لكن المسلمين فى هذه الأيام قد فرقت بينهم المطامع والأهواء ، وسدت مسامعهم الشهوات وحجبت عنهم منافذ الهداية ، فقطعوا صلتهم بأسلافهم الأجداد ، وصاروا شيعاً متنافرة ، وأحزاباً متناحرة ، فصاروا كثرة لا غناء فيها ، وغناء كغناء السيل ، فزع الله هيبتهم من قلوب أعدائهم ، وسلطهم عليهم فسلبهم لذة الأمن ، وساموهم الخسف والتكال ، ووضعوا يدهم على موارد الثروة فى بلادهم ، وتقضى أمورهم فى غيبتهم ، ولا يستأذنون وهم مشهود .

ولقد بلغ من انحلال المسلمين أن اتخذ الأعداء من بعضهم مطية ذلولا ، يركبونها لتنفيذ أطماعهم الجامحة ، وأغراضهم الآثمة ، وهذا الصنف من الخونة المجرمين شر ما تنبئ به الأمم ، لأنهم أشد فتكاً بأممتهم ، وأسرع فى القضاء عليها

من هدوما السافر ، فهم بالنسبة لها كالنار في الوقود ، لا تدعه حتى تجعله هشيما
تذروه الرياح .

أيها المسلمون : إذا كان الاسبى قد أذاب نفوسكم حمرة وكمداً لهوان أمركم
على أهدانكم ، وما جكم الشوق إلى أن تنعموا بما نعم به أسلافكم من هزة الملوك
وطهارة الملائكة ، فاعلموا أن محاولاتكم لإرجاع حقوقكم المفضوبة ، مع تمزيق
وحدثكم صبيحة في واد ، ونفخة في رماد ، لا يرفع العدو رأساً ، ولا يقيم وزناً .
صوت الشعوب من الزئير مجمعا فإذا تفرق كانت بعض نباح

ولا عاصم اليوم من هذه الذلة والصغار إلا أن تجمعوا شملكم ، وتراؤبوا
صدعكم ، وتقفوا أمام عدوكم جبهة متماسكة ، لا تذهب الالهواء ريحها ، ولا تلين
قناتها . وليس هذا الدواء بعيداً عن أيديكم ، بل هو مائل في دينكم الذي يظلمكم
لواؤه ، فأصاحوا ذات بينكم ، وضجوا صفوفكم ، وضاعفوا جهودكم ، ولا تيأسوا
من روح الله ، فإنه قادر على إحياء الأرض بعد موتها ، والقادر على ذلك قادر
على أقالة الأمم من عثرتها ، وإعزازها بعد ذلها ، وإمدادها بعد التخلي عنها ،
وإعطائها بعد سلبها ، فأشعلوا جذوة الإيمان ، وألهبوا الخاس لسعى مجيد ، وعمل
رشيد ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

طرائف الشعر

قال محمد بن علي لرجل : إنك لتروى طرائف الشعر فكيف قال الانصاري
لاخيه ؟ فأنشده :

لعمرك ما إن أبو مالك	بوان ولا بضعيف قواه
ولا بالذله نازع	يعادى أخاه إذا ما نهاء
ولكنه غير مخالفة	كريم الطبائع حلو ثناء
وإن سده سدت مطواب	ومهما وكلت إليه كفاه

فقال محمد لاخيه زيد وكان حاضراً : هذه صفتك يا أخى وأعينك بالله أن
تكون قتيلاً أهل العراق .

العدالة في الإسلام

عدالة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد علي منصور

لما قتل عثمان بن عفان أمير المؤمنين في فتنة قامت ضده ،
مرع الناس إلى علي بن أبي طالب ، وطلبوا أن يبايعوه
على الخلافة ، فأبى عليهم ، فما زالوا به حتى أقنعوه
بضرورة قبولها ، حثا للمنازعات ، وإطفاء ليران
الفتن ، فقبل رجاءهم كارها .



شيء من أعماله :

تمت بيعة علي بالأغلبية ، فقام وخطب الناس ، ودعاهم إلى الخير وما فيه
سعادتهم وفلاحهم ، وحذرهم الشر وما فيه شقاؤهم وملاكهم . ونقل العاصمة
إلى الكوفة ، وبدأ بتغيير عمال الانصار ؛ لانهم داعية الفرقة ، وسبب الشقاق ،
ومن نجم من بينهم الاختلاف ؛ واستقبل أمير المؤمنين همداء مملوءاً بالقلقل
والفتن ، والثورات والحروب ؛ وحكم خمس سنين لم يصف له فيها يوم ؛ وقتل
في النهاية بضربة من سيف مسموم بيد المجرم الانيم عبد الرحمن بن ملجم الخارجي ،
والمقدر واقع لا محالة ، والآخرة خير وأبقى لامير المؤمنين !

نماذج من عدالته وإنصافه :

١ - جلس كرم الله وجهه ذات يوم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛
فدخل عليهما رجل من اليهود ، وطلب من عمر أن يحكم بينه وبين علي ؛ فنظر
إلى الخطاب إلى علي وقال له : قم فقف بجانب خصمك يا أبا الحسن ؛ فقام علي
ووقف بجانب خصمه والغضب باد على وجهه ؛ فقال له عمر : أنغضب لأنني
أمرتك بالوقوف بجانب خصمك ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، إنني غضبت لأنك

لم تسو بيني وبين خصمي ؛ فقد كنتوني^(١) وسميت خصمي ؛ وفي التكنية تعظيم
فأسف عمر ، وقضى بينهما ينتهي العدالة والقسطاس . !

فهل رأيت أيها القارىء بعد هذا عدلاً وإنصافاً ؟ يأمر عمر بن الخطاب
على بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله أن يقف بجانب خصمه ؛ وهو رجل من
آحاد اليهود ؛ فيسارع على بالوقوف إلى جانب اليهودي ؛ ويرى الغضب في وجهه
ويعاتب عمر لا لأنه أمره بالوقوف إلى جانب خصمه ، بل لأنه قال له قم
يا أبا الحسن ، فكناه وفي ذلك ما يشعر بالتعظيم ، على حين أنه سمي خصمه
باسمه المجرد . !

وليس هذا بغريب من عمر وعلى ، رضى الله عنهما ، وهما من أكابر أصحاب
رسول الله ، وحاملى لواء الاسلام من بعده ، وقد أثريا في قلوبهما تعاليم الشريعة
الغراء ، واهتديا بهدى الرسول الأعظم ، وقد شاهدا يوم بدر وهو يطعن
سواد بن غزية بقده^(٢) في بطنه وهو مكشوف ليستوى في الصف ؛ فقال : قد
أوجعتني يا رسول الله فأقدني ، فكشف له عن بطنه . ! فقبل مكان الطعنة
ونزل عن حقه .

وأعجب من هذا أن رأياه - صلوات الله وسلامه عليه - وهو في مرضه الذي
لحق فيه بالرفيق الأعلى ، وهو يعلن للناس : أن من له حق عنده فليأخذه ، ومن
له مال فليطلبه ، ومن جلده أو ضربه فليقتص منه . وأذن لرجل أن يضربه حين
ادعى أنه ضربه ذات يوم ؛ فقال يا رسول الله : إنني كنت عارى الكتف أو الظهر ؛
فألني الرداء عن عاتقه الشريف . !

وشأن الرجلين أن يتمسحا بالنبى العربي الكريم ، ويتوصلا لهذا الشرف
للعظيم ، فهل عرف الناس أجمع عدلاً يوازى هذا العدل ؟ وهل سمعوا بإنصاف
يساوى هذا الإنصاف ؟ وهل يصدر مثل هذا إلا من رسول صادق أمين ، أعدته
القدرة الإلهية ليكون المثل الأعلى في العدل ، والغاية القصوى في الإنصاف ؟

(١) التكنية : ما صدرت بآب أو أم . وكذوتني : يعنى قلت لى يا أبا الحسن .

(٢) القده : السهم الذى لا نصل له .

ومن صاحبين جليلين ، نسجا على منواله ، وترسما خطاه : وكان لهما فيه الاسوة
الحسنة ، والقُدوة الطيبة ١٩

٢ — لما تمت البيعة لأمير المؤمنين علي بالغلبة ، وجه عنايته لبيت المال ،
ونظم دخله وخرجه - ولقد حدث ذات يوم أن حضر إليه أخوه ، وطلب منه
شيئاً من بيت المال ، ولم يكن له فيه حق : فرفض على طلبه ، ولم يعطه شيئاً ؛
فتركه أخوه وانضم إلى أعدائه . فأية أمانة ، وأى حرص على مال المسلمين ،
مثل هذا الحرص ، وتلك الأمانة ؟ تدفع الحاجة أخاه إلى أن يطلب منه شيئاً
من بيت المال يستعين به ، فيرفض على طلبه ، لأن أخاه لا حق له فيه ؛ ويأبى
أمير المؤمنين ألا يأخذ من بيت المال إلا من له فيه حق معلوم ، وإن أدى الأمر
إلى غضب أخيه وانضمامه إلى أعدائه ؛ وفي هذا العدل المجسم ، والإنصاف العظيم .

٤ — سار على في الطريق يوماً يتفقد أحوال الرعية ، فوجد فتمتين يقتتلان
ففرق بينهما ؛ ثم مضى بعد ذلك فسمع صوت مستغيث . فخرج يجرى وهو يقول :
أتاك الغوث ، أتاك الغوث ؛ فرأى رجلاً ممسكاً بآخر ، فسأله عن حاله ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، بعث هذا ثوباً بتسعة دراهم ، فأعطى دراهم على غير الشرط ؛
فطلب منه استعاضة غيرها بها ، فأبى ولطمني ؛ فقال له علي : أبدلها له ،
فأبدلها . ثم التفت أمير المؤمنين إلى المضروب وقال له : أين بينك على اللطمة ؟
فأحضرها . فأقعد الضارب وقال للمضروب اقتص منه — فقال : إني عفوت عنه
يا أمير المؤمنين ؛ فضرب على الرجل تسع دراهم ، وقال : هذا حق السلطان .

فانظر أيها القارئ كيف أقعد أمير المؤمنين الضارب وأمر المضروب بأن
يأخذ حقه منه بالانصاف ؟ وتأمل بُعد نظره وسداد رأيه في معاقبة الظالم بعد
أن عفا عنه المظنوم كما تفعل النيابة الآن ؟ وإلى موقفٍ بأنك متسلس في هذه
الحادثة شدة يقظة علي على رعيته ، واستعداده لاجابة نداء المستغيث منهم ؛
بما يدل على منتهى الشجاعة والجرأة ، والشهامة والمروءة ، والإنصاف .

٥ — كان في بيت المال عقد نفيس من اللؤلؤ ، فأرسلت ابنة أمير المؤمنين على بن أبي طالب إلى الخازن تطلب منه أن يعيرها هذا العقد لتجمل به يوم عيد الأضحى على أن ترده إليه بعد ثلاثة أيام .
فأرسل الخادم إليها العقد ؛ ولما وضعته في جيبها ، رآه والدها عرفه ؛ فسألها في ذلك ، فقالت : استعرت من خازن بيت المال لتزين به في العيد ثم أردته إليه .

فبعث أمير المؤمنين في الحال إلى الخازن ، ووجهه على تصرفه في مال المسلمين ؛ ثم أمر برد العقد إلى بيت المال على وجه السرعة — فقالت له ابنته : يا أمير المؤمنين ، أنا ابتك ، وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه مني ؟ فقال لها : أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين في العيد بمثل هذا ؟ ثم قال : ويل لابنتي ، لولم تأخذ العقد على أنه عارية مردودة ، لكنت أول هاشمية قطعت يدها في سرقة . ١

فأى عدل أعظم من هذا ؟ وأي إنصاف فوق هذا الإنصاف ؟ يا بني أمير المؤمنين أن تزين ابنته بعقد اللؤلؤ الذي استعارته من بيت المال ، ويرسل توأ إلى الخازن فيؤنبه ، ويوجه إليه قارص اللوم على هذا التصرف . ولا يكتفى بهذا بل يأمر برد العقد إلى بيت المال في نفس اليوم .

ولا يفوت ابنته أن تستعطفه ، حتى يسمع لها أن تزين به في العيد فيسكتها بجواب في منتهى الإقناع — وفوق هذا يقر في نفسها أنها لولم تأخذ العقد بصفة عارية ترد بعد ثلاثة أيام لكنت أول هاشمية يأمر بقطع يدها في سرقة !

فهل وصلت المدنية الحاضرة إلى هذا ؟ وهل يوجد الآن على ظهر البسيطة أناس يشعرون بالمسؤولية ، مثل هذا الشعور العظيم ؛ فيخلد التاريخ لهم ذلك على صفحاته بكل إجلال وإكبار ؟

إننا لنبتل إلى الله العلي القدير ، الذي خلق أبا الحسن وسواه ، وصوره في أحسن تقويم ، أن يرضى عنه ، وأن يجعل فيه للحكام والرؤساء الأسوة والقُدوة ؛ فلقد كان — فوق أخلاقه وسجايا الطيبة — عادلاً ، منصفاً للناس من نفسه ومن خاصة أهله ؛ مبغضاً الاستثناء بما الجميع فيه سواسية ؛ موقناً بأن الله سبحانه للظالمين بالمرصاد .

إساءة تقابل بعطف

مِنْ خُبَارِ الْعَبَّاسِيَّينَ

للأستاذ الشيخ حسن خطاب الوكيل

بينما الخيزران أم أميري المؤمنين الهادي والرشيد في دارها المعروفة بأساس ،
على عهد زوجها أمير المؤمنين المهدي ، وعندها أمهات أولاد الخلفاء ، وغيرهن
من بنات بني هاشم ، وهي على بساط أرمني ، وهن على نمارق أرمنية . وزينب
بنت سليمان بن علي أعلاهن مرتبة : فيدنا هي كذلك إذ دخل خادم لها فقال : بالباب
امرأة ذات حسن وجمال في أطمار رثة ، تأتي أن تخبر ما اسمها ، تروم الدخول عليكن .
فقال الخيزران للخادم : إنذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال ولكنها
في أطمار رثة . فتكلمت فأوضحت عن بيان رائع .

فقلن لها : من أنت ؟ قالت : أنا مزينة امرأة مروان بن محمد آخر خلفاء
الأمويين ، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين ، ووالله ما الاطمار الرثة التي عليّ
إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوتنا ، لم نأمن
مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر ، على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف ،
فقصدناكم لنكون في حجابكم على أية حالة كانت حتى تأتي دعوة من له الدعوة .
فاغرو رقت عيننا الخيزران ، وورقت لحالها : تخافت زينب بنت سليمان أن تقوم
الخيزران بإجابة مزينة لمطلبها ، فنظرت إلى مزينة مغضبة وقالت لها : لاخفف
الله عنك يا مزينة ، أتذكرين وقد دخلت إليك بحران وأنت على هذا البساط
بعينه ، فكلمتكم في جنة إبراهيم الإمام فانهريني وأمرت بإخراجي ، وقلت
ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ، فوالله لقد كان مروان أروع للحق
منك ، واقد دخلت إليه خلف أنه ما قتله وهو كاذب وخيرني بين أن يدفنه أو يدفع
إليّ جثته . وعرض عليّ ما لا فلم أقبله .

فلما سمعت مزينة تأنيبها لها قالت : والله ما أظن هذه الحالة أدتني إلى ما ترينه
إلا بالفعل الذي كان مني ، وكأنك استحسنيتي فتعرضين الخيزران على فعل مثله .
ولكن كان يجب عليك أن تحضياها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر ، لتستبقي

بذلك نعمتها ، وتصون بها دينها . قالت لزينب : يا بنت عم كيف ترين صنيع الله بنا في العقوق فتحبين التأمي بنا فيه ؟ ثم ولت باكية .

هنالك أشارت الخيزران إلى بعض جواربها أن تعدل بها إلى بعض المقاصير ، وأن لا تمسكنها من الخروج من القصر كاسفة البال ، وأمرتها بتغيير حالها والتلطف بها . وبينما الحال على ما وصفنا وإذا بأمر المؤمنين المهدي . فلما استقر به المسكان انصرفت زينب بنت سليمان إلى مقصورتها ، وتقدمت الخيزران وقصت عليه ما حدث . فقال : على بالجارية التي خرجت وراها وردتها إلى بعض المقاصير ، فلما حضرت سألتها : لما ذهبت مزينة إلى المقصورة ما الذي سمعتها تقول ؟ فأجابته الجارية لحقتها في أحد الممرات وهي تبكي تالية قوله تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » ، فالتفت المهدي إلى الخيزران أم الرشيد ، وقال لها : والله لو لم تفعل بها ما فعلت ما كلمتك أبدا . وبكى وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة .

ثم قال إني أنكر ما فعلته زينب بنت سليمان معها ، ولولا أنها أكبر نساءنا لحلفت أن لا أكلمها ، ثم أرسل إحدى الجوارى إلى مقصورة مزينة وقال لها إقرئي عليها السلام ، وقولي لها : يا بنت عم إن إخوانك قد اجتمعن عندي ، ولولا أني ابن عمك لجئناك . فجاءت إليه مزينة شاكرة وهي ترفل في أثوابها فأمرها بالجلوس ، ورحب بها ، ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان ، ثم أفاضوا في أخبار أسلافهم وأيام الناس والدولة ، وتقلها فما تركت لأحد في المجلس كلاما .

فقال لها المهدي : يا بنت عم والله لولا أني أخشى أن أنقص على من أكرمتك لتزوجتك ، ولكن لا شيء أصون لك من حجابي ، وكونك مع أخواتك في قصرى ، لك مالهن وعليك ما عليهن ، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر فيا حكم به على الخلق ، ثم اقطعها مثل مالهن من الإقطاع ، وأعد لها من الخدم من يقوم بحاجاتها ، وأجازها . فأقامت مزينة في قصر المهدي إلى أن قضى نحبها ، وأيام الهادي ، وصعدا من أيام الرشيد ، وماتت في خلافته ؛ وكان لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم . فلما قبضت جزع عليها الرشيد جزعا شديدا ، وأضحت كأن لم تغن بالأمس .

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » .

فهرس

المجلد التاسع - المجلد الحادي والعشرون

الترتيب	الموضوع	الصفحة
٧٦٩	عناصر المدنية في الديانة الإسلامية	حضرة صاحب العزة مدير المجلة
٧٧٣	في أهرار الجنة	فضيلة الأستاذ الشيخ فكري ياسين
٧٧٧	من عبقه عمر	محمد محمد المدني
٧٨٠	مسيرته	الدكتور محمد محمد بن الفحام
٧٨٥	مفردات فلسفية	محمد يوسف موسى
٧٨٩	لقد وابت	الشيخ محمد علي النجار
٧٩٥	مكارم الأخلاق	أبو بكر ذكرى
٨٠١	المؤمنون الصادقون	محمد عبد الثواب
٨٠٤	منهج الإسلام في تربية الأولاد	أبو الوفا المراغي
٨٠٩	أم المؤمنين عائشة	أبراهيم علي أبو الحشب
٨١٢	وجاءوا في الله حق جهاد	عمود أحمد جميلة
٨١٦	الأدب والأديب	عبد الحميد المملوت
٨٢٠	آل بن مالك	منصور رجب
٨٢٤	شاعران يتناولان الجائزة	حسن جاد
٨٢٨	الشرط في الفقه الإسلامي	حضرة الأستاذ صالح بكير
٨٣٢	لا تغضب	فضيلة الشيخ صادق خطاب
٨٣٦	إبراهيم والتوحيد	عبد المنعم خفاجي
٨٤٢	الصوم تأديب وتهذيب	عبد المنعم أبو سميد
٨٤٦	من طرائف القرآن	عبد الغني الراجحي
٨٥٢	الوحدة في تعاليم الإسلام	المنشاوي عبود الخولي
٨٥٩	العدالة في الإسلام	أحمد علي منصور
٨٦٣	من أخبار العباسيين	حسن خطاب